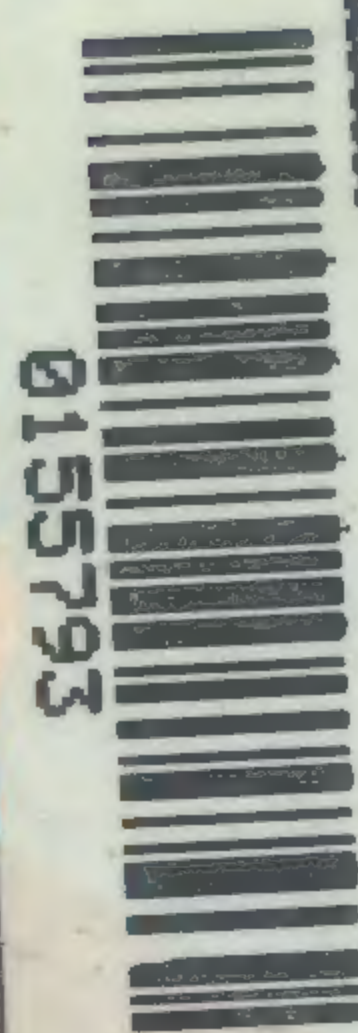


لَرْوَحُ مَا قِيلَ فِي الرُّقْدِ وَالرَّصْفِ



إعداد

إسماعيل ناصيف



0155793



Bibliotheca Alexandrina

لِزَوْجِ مَا قِيلَ
فِي
الزُّفْرِ وَالنَّصُوفِ

الزُّوجُ مَا قِيلَ
فِي
الزُّقْدِ وَالزُّصُوفِ

إعداد
إسماعيل ناصيف

دار الحديث
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

القسم الأول

في الزهد

الزهد

تعريفه:

الزهد هو ترك لذائد الدنيا الفانية طمعاً بلذائد الآخرة الخالدة. قال الغزالي: «هو أن تأتي الدنيا الإنسان راغمة صفواً عفواً، وهو قادر التنعم بها من غير نقصان جاه، وقبح اسم، فيتركها خوفاً من أن يأنس بها، فيكون آنساً بغير الله محباً لما سوى الله، ويكون مشركاً لما في حب الله غيره»^(١).

أما الشعر الزهدي فهو الذي يدعو إلى الموعظة، وتوجيه الناس نحو التمسك والعبادة، معتبراً أن هذه الحياة ما هي إلا دار ممر إلى دار مقر، وما زينتها وبهرجها إلا خداع للمرء، وإغراء له كي تنسيه خالقه، وتجعله عبداً لشهواته ونزواته. فإذا أراد الإنسان حياة هنيئة في الآخرة فما عليه إلا أن ينبذ هذه الدنيا، ويعدّ نفسه لحياة أبدية، دون أن ينزلق في مهاوي عيش زائل، وعالم حقير فان.

عوامله:

لا بدّ لكلّ حدث اجتماعي من عوامل تهيئه. فمن عوامل الزهد:

١ - الدين: فجميع الأديان السماوية تدعو إلى حياة أخرى، وما هذه الحياة

(١) إحياء علوم الدين. ج ٤، ص ١٨٧.

الدنيا إلّا ممرّ إلى حياة خالدة؛ ومن هذه الحياة يتوقّف مصير الإنسان: فإن كان صالحاً فمصيره الجنّة، وإن كان طالحاً فمصيره الجحيم.

وقد وضعت هذه الأديان، لكي يكون الإنسان صالحاً، بعض الشروط ومنها: التقوى والورع، ومحبة الآخرين فضلاً عن الاعتراف بالله ومحبته، وكبت الشهوات التي تؤدي بمرتكبها إلى المفسد الخلقيّة، ومن ثمّ إلى الانهيار الاجتماعي.

من هنا يجب على المؤمن أن يؤدّي الفرائض، ويبتعد عمّا نهى عنه الدين. ومن المؤمنين الذين اطمأنت نفوسهم الى الدين، وارتضوا بشرائعه، قوم نذروا أنفسهم لله فكان رجال الدين والورع الصالحون، والزهاد، الذين تنسّكوا، وانقطعوا للعبادة، ولبسوا الخرق، واكتفوا بالضروري من المأكل والمشرب، مطلّقين الدنيا ومباهجها، معتبرين إياها جيفة نتنة، والمتهاكين عليها كالطفيليات أو الحشرات التي تحوم حول الجيف.

٢ - الحرمان: ومن هؤلاء الزهاد من اتّخذ هذا المنحى نتيجة الفقر المدقع والحرمان الشديد؛ إذ نظروا إلى الدنيا ولذائذها، وحاولوا التمتع بها، ولكنهم لم يوفّقوا لسبب من الأسباب، فيئسوا، وآثروا الزهد على الكفاح في سبيل العيش الهنيء، وناصبوا العداء حياة الرغد والهناء، وحاربوا طالبيها مصوّرين هذه السعادة على أنها باطل وزيف.

ولكنّ هناك من الزهاد من عافت نفسه هذه اللذات، إمّا لكثرة ما انغمس في نعيمها، وانزلق في حماتها المفسدة، فأصيب برودة فعل، حملته على إدراك بطلان عمله، فاتعظ، وإمّا لما رأى من إقبال الناس على المفسد، فأحبّ أن ينقذ نفسه من هذه المهالك، فأثر الزهد واعتكف. وقد يكون هذا الأمر ناتجاً عن جنوح في العقل، أو نتيجة عقد نفسيّة ومركبات نقص، لم يستطع من جرّائها مسابقة المجتمع أو معارضته، فكان الزهد.

الزهد عبر العصور

في الجاهلية:

عرف العربُ الزهدَ في العصر الجاهليّ، وذلك حين عرفوا المسيحية؛ فكان منهم النساك والمتعبّدون أمثال: ورقة بن نوفل، وقيس بن ساعدة، وغيرهما؛ وكان لبعضهم أديرة ورهبانيات، وكان بعضهم الآخر يتجول في أنحاء الجزيرة داعياً إلى عبادة الإله وترك الأوثان، وأنّ هناك حياة أخرى، وحساباً وعقاباً، لذلك أن يستعدّ كلّ منّا إلى اليوم الآخر بالأعمال الصالحة، بالابتعاد عن الأعمال الشريرة والفسادة. تحت تأثير هذه الأفكار، انتشرت فكرة الزهد في بعض الأشعار الجاهلية كقول لبيد:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

أو قول زهير بن أبي سلمى:

أَلَا لَا أَرَى بَعْدَ الْحَوَادِثِ بَاقِيَا وَلَا خَالِدًا إِلَّا الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ تُبْعَا وَأَهْلَكَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ وَعَادِيَا

أو قول أمية بن أبي الصلت:

وَحَالَاتُ دُنْيَا لَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا وَبَيْنَا الْفَتَى فِيهَا مَهِيْبٌ مُسَوِّدٌ
إِذَا انْقَلَبَتْ عَنْهُ وَزَالَ نَعِيمُهَا وَأَصْبَحَ مِنْ تُرْبِ الْقُبُورِ بُوسَدٌ
فَكُنْ خَائِفًا لِلْمَوْتِ وَالْبَعْثِ بَعْدَهُ وَلَا تَكُ مِمَّنْ غَرَّهُ الْيَوْمُ أَوْ غَدٌ
فَبَانَكَ فِي دُنْيَا غُرُورٍ لِأَهْلِهَا وَفِيهَا عَدُوٌّ كَاشِحُ الصَّدْرِ يُوقِدُ

وخلاصة القول إنّ هذه النزعة الزهدية كانت سطحية لا تتعدى حياة البشر، وتقلّب الدهر، وضعف الإنسان أمام حوادثه، والاستعداد لليوم الآخر، وعدم الاغترار بمباهج هذه الدنيا الزائلة.

في صدر الإسلام:

ولمّا جاء الإسلام، نشر بين القوم أفكاراً جديدة تقوم على التقوى والصّلاح، والابتعاد عن المنكر، ابتغاء مرضاة الله، وطمعاً بنعيمه، وخوفاً من جحيمه، كقوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ. أولئك الذين لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ، وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا فِيهَا يَعْمَلُونَ﴾^(١) و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢)، كما أن هناك أحاديث نبوية تدعو إلى التزهد: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، و«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة».

والواقع أنّ الدين الإسلامي قد جمع بين الدين والدنيا، فإذا به يدعو المؤمن إلى التمتع بطيبات الدنيا كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٣) و﴿ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٤). ولو رحنا نتحرى الآيات التي تجمع بين الدين والدنيا لوجدناها بكثرة جدّاً. عدا الأحاديث النبوية التي تحث على العبادة والتقوى، وبحقوق الله، والتمتع بلذائذ الحياة المشروعة، كقوله (ﷺ): «الطاعم الشاكر خير من الصوّام الزاهد» و«إنما حبّب إليّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة» و«ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا

(١) هود: ١٥.

(٢) المنافقون: ٩.

(٣) الجمعة: ١٠.

(٤) القصص: ٧٧.

الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه». لذلك وجدنا فئة من المؤمنين ترى أن حياة الإيمان والتقوى لا تتعارض والتمتع بطيبات هذا العالم حتى يحين أوان التمتع بالجنة وسعادتها، ومنهم من رغب عن المال والغنى كالزبير بن العوام، وهو أحد المبشرين بالجنة، الذي ترك من الأملاك ما يقدر بأربعين مليوناً من الدراهم، وطلحة بن عبيدالله الذي ترك ما يقدر بثلاثين ألف درهم، ومن النقد ما بلغ مئة كيس من الجلد في كل كيس ثلاثة قناطير من الذهب. هذا بالإضافة إلى حياة الخلفاء الراشدين التي كانت حياة زهد وتقشف.

في العصر الأموي:

لما اتسعت الامبراطورية الإسلامية، وجد العرب أنفسهم أمام ثروات طائلة، وضروب جديدة من اللهو والترف، فانغمس بعضهم فيها، وأحجم بعضهم عنها، فراحوا ينشدون المثل العليا الإسلامية في الزهد والإعراض عن الدنيا، أمثال الحسن البصري الذي راح يرشد الناس، ويدعوهم إلى مكارم الأخلاق، مزيّناً لهم التقوى، مزهداً إيتاهم بمباهج الدنيا الفانية. وهذا التزهّد مبنيّ على الخشوع وتقوى الله، والخوف من غضبه. أمّا الزهد المبني على أساس صوفي فمثّله رابعة العدوية التي تقول: «إلهي، إذا كنت أعبدك رهبة من النار فاحرقني بنار جهنّم، وإذا كنت أعبدك رغبة في الجنة فاحرمنيها، أمّا إذا عبدتك من أجل محبتك فلا تحرمني، يا إلهي، من جمالك الأزلي».

في العصر العباسي:

في العصر العباسي اتسعت رقعة الامبراطورية الإسلامية، وتمازجت شعوب كثيرة بعضها ببعض، فنشأ من جرّاء ذلك حركات علميّة، وصراعات فكريّة، فازدادت في نفوس بعض المؤمنين العاطفة الدينية بقدر ما ازداد عند سواهم العبث والمجون، فأصبحت الحضارة العباسية: «مسجداً وحانة، وقارئاً وزامراً، ومجتهداً يرقب الفجر، ومصطبحاً في الحداثق، وساهراً في تجهّد، وساهراً في طرب،

وتخمة من غنى، ومسكنة في إملاق، وشكًا في دين، وإيمانًا في يقين. كلّ هذا كان في العصر العباسي، وكلّ هذا كان كثيرًا^(١). ونتيجة لهذه لعاطفة الدينية ظهر شعر الزهد المطعم بأفكار فلسفية جديدة، نتيجة تفاعل الثقافات، وفيه ترهيب من الموت، ودعوة إلى التأمل، والنظر في ما وراء الوجود. ولعلّ أبرز من يمثل هذا التيار هو «أبو العتاهية».

(١) أحمد أمين. ضحى الإسلام. ج ١، ص ١٦٠.

عديّ بن زيد

هو عديّ بن زيد بن حمّا بن زيد العبّادي (٠٠٠ - نحو ٣٥ ق هـ / نحو ٥٩٠ م) شاعر من دهاة الجاهليّين . كان قروياً من أهل الحيرة ، فصيحاً يُحسن العربيّة والفارسيّة والرمي بالنشّاب . وهو أوّل من كتب بالعربيّة في ديوان كسرى ، اتّخذه في خاصّته ، وجعله ترجماناً بينه وبين العرب . له ديوان شعريّ . كان نصرانياً ، ومن شعره الزهديّ نكتطف ما يلي :

★ ★ ★

أَيْنَ أَهْلِ الدِيَارِ مِنْ قَوْمِ نوحٍ	ثم عادَ مِنْ بَعْدِهَا وَثمودُ
بينما هم على الأسيِّرة والأنماطِ	أفضتْ إلى التُّرابِ الخدودُ
وصحيحٌ أمسى يعودُ مريضاً	وهو أدنى للموتِ ممَّنْ يعودُ
ثمّ لم ينقضِ الحديثُ ولكنْ	بعد ذا كلّهُ وذاك الوعيدُ

★ ★ ★

عدي بن زيد والنعمان

رُويَ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ خَرَجَ مُتَصِدّاً وَمَعَهُ عَدِيٌّ بْنُ زَيْدٍ فَمَرَّ بِشَجَرَةٍ . فَقَالَ عَدِيٌّ بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيُخْذْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قُرْبِ زَوَالِ

فَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا قُودٌ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ
وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ
قَالَ: ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجَرَةَ فَمَرًّا بِمَقْبَرَةٍ.
فَقَالَ لَهُ عَدِيٌّ: أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ
الْمَقْبَرَةُ. قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِنَّهَا تَقُولُ:

أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمُخَيَّبُ
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا
نَ عَلَى الْأَرْضِ الْمُجِيدُونَ
كَمَا نَحْنُ تَكُونُونَ

★ ★ ★

وقال:

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامِ
وَأَخُو الْحَصْنِ إِذْ بَنَاهُ إِذْ دَجَلَهُ
شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ الْمَنُونِ فَبَادَ
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ
أَنُو شِرْوَانَ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
تُجَبَّى إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ^(١)
فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
الْمَلِكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ
فَأَلَوَتْ بِهِ الصَّبَا وَالذَّبُورُ^(٢)

★ ★ ★

(١) الخابور: نهر في الشام.

(٢) الصَّبَا: ريح شرقية خفيفة، والذَّبُور: ريح غربية.

الإمام عليّ بن أبي طالب

هو أبو الحسن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي (٢٣ قهـ / ٦٠٠ م - ٥٤٠ هـ / ٦٦١ م) أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلامًا بعد خديجة. ولد بمكة، وربى في حجر النبي (ﷺ)، ولم يفارقه. كان اللواء بيده في أكثر المشاهد. جمعت خطبه وأقواله ورسائله في كتاب سُمي «نهج البلاغة»، ولأكثر الباحثين شك في نسبته كله إليه. له ديوان شعري، قيل: إن معظمه مدسوس عليه. ومن هذا الديوان نقتطف من قصائد، الزهدية ما يلي:

★ ★ ★

بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ	غَلَبَ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُلُ ^(١)
وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَعَاqِلِهِمْ	فَأُودِعُوا حُقَرًا، يَا بَشَرٍ مَا نَزَلُوا
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا	أَيْنَ الْأَسِيرَةُ وَالتَّيْجَانُ وَالْحُلُلُ
أَيْنَ الْوَجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مَنَعَمَةً	مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكِلَلُ ^(٢)

(١) قُلُلِ الْجِبَالِ: قممها.

(٢) الْكِلَلُ: جمع كلة، وهي السر الدقيق.

فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ:
 قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا
 وَطَالَمَا كَثَرُوا الْأَمْوَالَ وَادَّخَرُوا
 وَطَالَمَا شَيَّدُوا دُورًا لِتَخْصِيْنِهِمْ
 أَضْحَتْ مَسَاكِينُهُمْ وَخَشَا مُعْطَلَةٌ
 سَلَّ الْخَلِيفَةُ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّتَهُ
 أَيْنَ الْكَنْزُ الَّتِي كَانَتْ مِفَاتِحُهَا
 أَيْنَ الْعَبِيدُ الْأُولَى أَرْصَدَتْهُمْ عَدَدًا
 أَيْنَ الْفَوَارِسُ وَالْغِلْمَانُ مَا صَنَعُوا
 أَيْنَ الْكُفَاةُ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ
 أَيْنَ الْكِمَاةُ أَمَا حَامُوا أَمَا غَضِبُوا
 هِيَهَاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا
 مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبُهُمْ
 مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يُنْشَى بِهِ أَحَدٌ

تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
 فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
 فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
 ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
 وساكنوها إلى الأجداث^(١) قد رحلوا
 أين الجنود وأين الخيل والخول^(٢)
 تنوء بالعصبة المقوين لو حملوا^(٣)
 أين العبيد وأين البيض والأسل^(٤)
 أين الصّوارم والخطيئة الذّبل^(٥)
 لما رأوه صريعًا وهو يتهل
 أين الحماة التي تحمى بها الدّول^(٦)
 عنك المنية إذ وافى بها الأجل^(٧)
 بل أسلموك لها يا بشر ما فعلوا
 ولا يطور به من بينهم رجل^(٨)

(١) الأجداث: جمع جدث. وهو القبر.

(٢) الخول: الخدم.

(٣) العصبة: الجماعة. المقوين: الفقراء.

(٤) البيض: السيوف. الأسل: الرماح.

(٥) الخطيئة الذّبل: القنا المستنة. الصّوارم: السيوف القاطعة.

(٦) الكماة: الأبطال.

(٧) الضيم: الدّل. المنية: الموت.

(٨) يُنْشَى: يعلم. يطور: يطوف.

ما بال قصرِكَ وَحْشًا لا أنيسَ بهِ
 ما بالُ ذكركَ منسيًا ومُطَرَحًا
 لا تُنْكِرَنَّ فما دامت على مَلِكِ
 وكيف يُرجى دوامُ العيشِ متصلاً
 وجسمه لِلْبَنَاتِ الرَدَى غَرَضٌ
 يغشاكَ من كنفِهِ الرُّوعُ والوَهَلُ^(١)
 وكلُّهم باقتسامِ المالِ قد شَغِلُوا
 إلا أناخَ عليه الموتُ والوَجَلُ
 ورُوحُه بِجبالِ الموتِ مُتَّصِلُ
 ومُلْكُه زَائِلٌ عَنْهُ ومُنْتَقِلُ^(٢)

★ ★ ★

وقال:

لَكَ الحمدُ يا ذا الجودِ والمجدِ والعلَى
 إلهي وخلاقي وحِرْزِي وموئلي
 إلهي لئن خَيَّبْتَنِي وطَرَدْتَنِي
 إلهي تَرَى حالي وذُلِّي وفاقتي
 إلهي فلا تَقْطَعْ رجائي ولا تُزِغْ
 إلهي لئن عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حِجَّةٍ
 إلهي إذا لم تَغْفُ عن غيرِ مُحْسِنٍ
 إلهي لئن فَرَطْتُ في طَلَبِ التَّقَى
 إلهي أَقْلِنِي عَثْرَتِي وَأَمَحْ حَوْبَتِي
 تباركتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
 إِلَيْكَ لَدَى الإِغْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْزَعُ^(٣)
 فَمَنْ ذا الذي أَرْجُو ومن ذا أَشْفَعُ
 وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي وَالْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ
 فَوَادِي فلي في بابِ جودِكَ مَطْمَعُ
 فَحَبْلُ رجائي مِنْكَ لا يَتَقَطَّعُ^(٤)
 فَمَنْ لِمُسِيءٍ بِالْهَوَى يَتَمَنَّعُ
 فها أنا إِثْرَ الْعَفْوِ أَقْفُو وَأَتَّبِعُ
 فبِأَنِي مُقِرٌّ خَائِفٌ مُتَضَرِّعٌ^(٥)

★ ★ ★

(١) الروح والوهل: الخوف.

(٢) اللبانات: الأغراض. والردى: الهلاك.

(٣) الحِرْز والموئل: الحصن والملجأ. أفزع: ألجأ.

(٤) الحجة: السنة.

(٥) أقلني عثرتي: اعف عني. والحوبة: الذنب والخطيئة.

أبو العتاهية

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي (من قبيلة عنزة) بالولاء (١٣٠ هـ / ٧٤٨ م - ٢١١ هـ / ٨٢٦ م) شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع. كان ينظم المئة، والمئة والخمسين بيتاً في اليوم حتى لم يكن للإحاطة بجميع شعره من سبيل. نشأ في الكوفة، وسكن بغداد. أكثر شعره في الزهد. ومن قصائده في الزهد نقتطف ما يلي:

بَكَيتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعٍ عَيْنِي	فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ وَلَا النَّحِيبُ
فِيَا أَسَفَا أَسِفْتُ عَلَى شَبَابٍ	نَعَاهُ الشَّيْبُ وَالرَّأْسُ الْخَضِيبُ
عَرِيتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكَانَ غَضًّا	كَمَا يَغْرَى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ
فِيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا	فَأَخْبِرُهُ بِمَا صَنَعَ الْمَشِيبُ

★ ★ ★

لِسُدَّوَا لِلْمَوْتِ وَابْتُئُوا لِلْخَرَابِ	فَكَلَّكُمْ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابِ
لِمَنْ تَبْنِي وَنَحْنُ إِلَى تُرَابِ	نَصِيرُ كَمَا خُلِقْنَا مِنْ تُرَابِ
أَلَا يَا مَوْتَ لِمَ أَرِ مِنْكَ بُدًّا	أَيُّتَ فَلَا تَحِيفُ وَلَا تُحَايِي ^(١)

(١) الحيف: الجور والظلم، وقد حاف عليه. حابه مُحابة وحياة: اختصه ومال إليه، وحابه في البيع ونحوه: سامحه.

كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

★ ★ ★

نَعَى عِنْدَ ظِلِّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ
فَكُنْ مُسْتَعِيدًا لِدَاعِي الْمَنُونِ فَكُلُّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
وَقَبْلَكَ دَاوَى الطَّيِّبِ الْمَرِيضَ فَعَاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ

★ ★ ★

أَنلَهُوْا وَأَيَّامُنَا تَذْهَبُ وَنَلْعَبُ وَالْمَوْتُ لَا يَلْعَبُ
عَجِبْتُ لِذِي لَعِبٍ قَدْ لَهَا عَجِبْتُ وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ
أَيْلَهُوْا وَيَلْعَبُ مَنْ نَفْسُهُ تَمُوتُ وَمَنْزِلُهُ يَخْرُبُ
نَرَى كُلَّ مَا سَاءْنَا دَائِبًا عَلَى كُلِّ مَا سَرَّانَا يَغْلِبُ^(١)
نَرَى الْخَلْقَ فِي طَبَقَاتِ الْبِلَى إِذَا مَا هُمْ صَعَّدُوا صَوَّبُوا^(٢)
نَرَى اللَّيْلَ يَطْلُبُنَا وَالنَّهَارَ وَلَمْ نَدْرِ أَيُّهُمَا أَطْلُبُ
أَحَاطَ الْجَدِيدَانِ جَمْعًا بِنَا فَلَيْسَ لَنَا عَنْهُمَا مَهْرَبُ^(٣)
وَكُلُّ لَهْ مُدَّةٌ تَنْقُضِي وَكُلُّ لَهْ أَثَرٌ يُكْتَبُ
وَمَا زِلْتَ تَجْرِي بِكَ الْحَادِثَاتُ فَتَسْلِمُ مِنْهُنَّ أَوْ تُنْكَبُ
سُتْغَطَى وَتُسَلَبُ حَتَّى تَكُو نَ نَفْسُكَ آخِرَ مَا يُسَلَبُ

★ ★ ★

(١) دَاب في عمله: جدَّ وتعَب، فهو دَائِب. والدَّائِبَانِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

(٢) صَعَّدَ فِيهِ تَصْعِيدًا: أَيِ انْحَدَرَ. صَوَّبَ: أَصَابَ مِنَ الصَّوَابِ، وَهُوَ ضِدُّ الْخَطَا.

(٣) الْجَدِيدَانِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

وَعَظَّتْكَ أَجْدَاثٌ خُفَّتْ فِيهِنَّ أَجْسَادٌ سُبَّتْ^(١)
وَتَكَلَّمْتَ لَكَ بِاللِّبَى مِنْهُنَّ أَلْسِنَةٌ صُمَّتْ
وَأَرَّتْكَ قَبْرَكَ فِي الْقُبُورِ رِوَأَتْ حَيًّا لَمْ تَمُتْ
وَكَاثَنِي بِكَ عَنْ قَرٍ يَبٍ رَهْنٍ حَتْفٍ لَمْ يَفُتْ^(٢)

★ ★ ★

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَثَّهَا الْقَلْبُ الْجَمُوحُ
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ دُئُورٌ وَنُزُوحٌ^(٣)
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحٌ^(٤)
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا الْمَشْتُورُ مِنَّا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ فُضُوحُ
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طَوِيَّتْ عَنْهُ الْكُشُوحُ
صَاحٍ مِنْهُ بِرَحِيلٍ صَائِحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْزِ ضَرَّ عَلَى بَعْضٍ فُتُوحُ
سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
يَتْنِ عَيْنِي كُلَّ حَيٍّ عَلِمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ

- (١) الأجداث: جمع جدث: القبر. خُفَّتْ: جمع خافت، وخفَّت الصوت: سَكَنَ. سُبَّتْ: جمع سابت، وسبت سبَّاتا: نام: والمَسْبُوت: الميت.
- (٢) الحتف: الموت، والجمع حُتُوف، ومات فلانُ حَتْفَ أَنفِهِ: إذا مات من غير قتلٍ ولا ضَرْبٍ.
- (٣) النُّزُوح: البعد.
- (٤) القروح: جمع قَرْح، وهو الجُرْح.

كُلُّنَا فِي غَفْلَةٍ وَالْـمَوْتُ يَغْدُو وَيَرْوَحُ
لِبَنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا يَا غَبُوقُ وَصَبُوحُ^(١)
رُحْنٌ فِي الْوَشْيِ وَأَصْبَحُ مَنْ عَلَيْهِنَّ الْمُسُوحُ^(٢)
كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْرِ لَهَا يَوْمَ نَطُوحُ
نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مَنْ كُنْتُ تَنْسُوحُ
لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عُمِدَ رَتَّ مَا عُمَرَ نُسُوحُ

★ ★ ★

أَلَا إِنَّا كُلُّنَا بَائِدُ وَأَيُّ بَنِي آدَمَ خَالِدُ
وَبَدُوهُمُ كَانَ مِنْ رَبِّهِمْ وَكُلُّ إِلَى رَبِّهِ عَائِدُ
فِي عَجَبٍ كَيْفَ يَعْصِي الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاوِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَخْرِيكَةٍ عَلَيْنَا وَتَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

★ ★ ★

مَا لِلْجَدِيدَيْنِ لَا يَبْلَى اخْتِلَافُهُمَا وَكُلُّ غَضٍّ جَدِيدٍ فِيهِمَا بِالِ
يَا مَنْ سَلَا عَنْ حَبِيبٍ بَعْدَ مَيْتَتِهِ كَمْ بَعْدَ مَوْتِكَ أَيْضًا عَنْكَ مِنْ سَالِ^(٣)
كَأَنَّ كُلَّ نَعِيمٍ أَنْتَ ذَائِقُهُ مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ يَحْكِي لَمَعَةَ الْآلِ^(٤)
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَرَى مَا شِئْتَ مِنْ عِبَرٍ فِيهَا وَأَمْثَالِ

(١) الغبوق: الشرب بالعشي، والصبوح: الشرب بالصباح.

(٢) المسوح: جمع مسح، وهو الكساء من شعر، وثوب الراهب.

(٣) سلاه وسلا عنه: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

(٤) الآل: السراب.

ما حيلة الموتِ إلا كلُّ صالحةٍ أو لا فما حيلةٌ فيهٍ لمُحتالٍ

★ ★ ★

رغيفُ خُبزٍ يابسٍ	تأكلُهُ في زاوِيَه
وكوزُ ماءٍ باردٍ	تَشْرِبُهُ مِنْ صَافِيَه
وغُرْقَةٌ ضَيِّقَةٌ	نَفْسُكَ فِيهَا خَالِيَه
أو مَسْجِدٌ بِمَغْزِلٍ	عَنِ الْوَرَى فِي نَاحِيَه
تَدْرُسُ فِيهِ دَقْتَرًا	مُسْتَنِدًا لِسَارِيَه
مُعْتَبِرًا بِمَنْ مَضَى	مِنْ الْقُرُونِ الْخَالِيَه
خيرٌ مِنْ السَّاعَاتِ فِي	فِي الْقُصُورِ الْعَالِيَه
تَعْقُبُهَا عُقُوبَةٌ	تُصَلِّي بِنَارِ حَامِيَه
فهذه وصِيَّتِي	مُخْبِرَةٌ بِحَالِيَه
طُوبَى لِمَنْ يَسْمَعُهَا	تِلْكَ لَعْمَرِي كَافِيَه
فاسْمَعْ لِنُصْحِ مُشْفِقٍ	يُدْعَى أَبَا الْعَتَاهِيَه

★ ★ ★

إنما الدُّنْيَا مَتَاعٌ زَائِلٌ	فَاقْتَصِدْ فِيهِ وَخُذْ مِنْهُ وَدَعْ
عجبٌ لِلدَّهْرِ كَمْ مِنْ أُمَمٍ	قَدْ أَبَادَ الدَّهْرُ وَالْدَّهْرُ جَذَعٌ
يا أَخَا الْمَيِّتِ الَّذِي شِيعَه	فَحْشَا التَّوْبِ عَلَيْهِ وَرَجَعُ
لَيْتَ شَعْرِي مَا تَزَوَّدْتَ مِنْ	الزَّادِ فَيَا هَذَا لِيَوْمِ الْمَطْلَعِ

★ ★ ★

الْحِرْصُ دَاءٌ قَدْ أَضَرَ	بِمَنْ تَرَى إِلَّا قَلِيلًا
-----------------------------	------------------------------

كم مِنْ عَزِيزٍ قَدْ رَأَيْتُ الحَرَصَ صَيَّرَهُ ذَلِيلًا
فَتَجَنَّبِ الشَّهَوَاتِ وَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ لَهَا فَتِيلًا
فَلَرُبَّ شَهْوَةٍ سَاعَةٍ قَدْ أَوْرَثَتْ حُزْنًا طَوِيلًا

★ ★ ★
حَتَّى مَتَى يَسْتَفِيزُنِي الطَّمَعُ أَلَيْسَ لِي بِالْكَفَافِ مُتَّعُ
مَا أَفْضَلَ الصَّبْرَ وَالْقَنَاعَةَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا لَوْ أَنَّهُمْ قَنِعُوا
وَأَخْذَعَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِأَقْوَامِ أَرَاهُمْ فِي الْغِيِّ قَدْ رَتَّعُوا^(١)
لِلَّهِ دُرُّ الدُّنْيَا فَقَدْ لَعِبَتْ قَبْلِي بِقَوْمٍ فَمَا تَرَى صَنَعُوا
وَكَانَ مَا قَدَّمُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ نَفْعًا مِنَ الَّذِي وَدَّعُوا

★ ★ ★
وَاعْجَبَا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسِبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا
وَعَبَرُوا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرُ
الْخَيْرُ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْمَعْرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
وَالْمَوْعِدُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ الْحَشَرُ فَذَاكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
لَا فَخْرَ إِلَّا فَخْرُ أَهْلِ التَّقَى غَدًا إِذَا ضَمَّهُمُ الْمَحْشَرُ
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ

★ ★ ★
عَلَيْكُمْ سَلَامٌ اللَّهُ إِنْ يَ مُودَّعُ وَعَيْنَايَ مِنْ مَضَى التَّفَرُّقِ تَدَمَّعُ
فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَإِنْ نَحْنُ مُنَا فَالْقِيَامَةُ تَجْمَعُ
أَلَمْ تَرَ رَبِّ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ

(١) رتَّعوا: أقاموا.

أَيَا بَانِي الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَبْتَنِي
أَرَى الْمَرْءَ وَثَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمَلِكُ غَيْرُهُ
وَأَيُّ أَمْرٍ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ

★ ★ ★

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو
هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا
نَعَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ اللَّيَالِي
فَمَا لِي لَسْتُ مَشْغُولًا بِنَفْسِي
أَمَا فِي السَّالِفِينَ لِي اعْتِبَارٌ
كَأَنِّي بِالْمَنِيَّةِ أَرْعَجْتَنِي
وَخَلَفِي نِسْوَةٌ يَبْكِينُ بَعْدِي
وَحَقُّكَ كُلُّ ذَا يَفْنَى سَرِيعًا

★ ★ ★

فَيَا مَنْ بَاتَ يَنُمُو بِالْخَطَايَا
أَمَا تَخْشَى مِنَ الدِّيَانِ طَرْدًا
أَتَعْصِي اللَّهَ وَهُوَ يَرَاكَ جَهْرًا
وَتَخْلُو بِالْمَعَاصِي وَهُوَ دَانٍ
وَتُنْكِرُ فِعْلَهَا وَلَهَا شُهُودٌ
فَيَا حُزْنَ الْمُسِيءِ لِشُومِ ذَنْبٍ

وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ
وَلِلْمَرْءِ يَوْمًا لَا مَحَالَةَ مَصْرَعُ
مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ
إِلَى غَايَةِ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلَعُ

أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ
أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلِكَ لِلزَّوَالِ
تَصْرَفُهُنَّ حَالًا بَعْدَ حَالٍ
وَمَا لِي لَا أَخَافُ الْمَوْتَ مَا لِي
وَمَا لَأَقْوَةُ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي
وَتَعْشِي بَيْنَ أَرْبَعَةِ عِجَالٍ
كَأَنَّ قُلُوبَهُنَّ عَلَى الْمَقَالِي
وَلَا شَيْءٌ يَدُومُ مَعَ اللَّيَالِي

★ ★ ★

وَعَيْنُ اللَّهِ سَاهِرَةٌ تَرَاهُ
بِجُرْمٍ دَائِمًا أَبَدًا تَرَاهُ
وَتَنْسَى فِي غَدٍ حَقًّا تَرَاهُ
إِلَيْكَ وَلَيْسَ تَخْشَى مِنْ لِقَاةِ
بِمَكْتُوبٍ عَلَيْكَ وَقَدْ حَوَاهُ
وَبَعْدَ الْحُزْنِ يَكْفِيهِ حِمَاهُ

فَيَنْدُبُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتِ وَيَبْكِي حَيْثُ لَا يُجْدِي بُكَاهُ
يَعْضُ يَدَيْهِ مِنْ نَدَمٍ وَحُزْنٍ وَيَنْدُبُ حَسْرَةً مَا قَدْ عَرَاهُ
فَبَادِرْ بِالصَّلَاحِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَعَلَّكَ أَنْ تَنَالَ بِهِ رِضَاهُ

★ ★ ★

الإمام الشافعيّ

هو محمد بن إدريس بن العباس (١٥٠ هـ / ٧٦٧ م - ٢٠٤ هـ / ٨٢٠ م) أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزّة بفلسطين، وتوفي بالقاهرة. برع في الرمي، والشعر، واللغة، وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة، وكان ذكياً مفرطاً. له تصانيف كثيرة أشهرها كتاب «الأم» في الفقه، و«المسند»، و«أحكام القرآن»، و«السنن»، و«الرسالة». ومن ديوانه نُثبت المقتطفات الزهدية التالية:

خَفِ اللَّهَ وَارْجُهُ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ	وَلَا تُطِعِ النَّفْسَ اللَّجُوجَ فَتَنْدَمَا
وَكَُنْ بَيْنَ هَاتَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَا	وَأَبْشِرْ بِعَفْوِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا
وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي، وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي	جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرِئْتُهُ	بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ أَرْفَعُ رَغْبَتِي	وَإِنْ كُنْتُ يَا ذَا الْمَنِّ وَالْجُودِ مُجْرِمًا
فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ	تَجُودُ وَتَعْفُو مِنِّي وَتَكْرُمًا
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَصْنُمْدُ لِإِبْلِيسَ عَابِدٌ	فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيكَ آدَمًا ^(١)

(١) الصّفيّ: الصديق المخلص.

فَلِلَّهِ دَرُّ الْعَارِفِ النَّدْبِ إِنَّهُ
يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامَهُ
فَصِيحًا إِذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ
وَيَذْكُرُ أَيَّامًا مَضَتْ مِنْ شَبَابِهِ
فَصَارَ، قَرِينَ الْهَمِّ طُولَ نَهَارِهِ
يَقُولُ حَبِيبِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُغْيَتِي
أَلَسْتَ الَّذِي غَذَيْتَنِي وَهَدَيْتَنِي
عَنَى مَنْ لَهُ الْإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَأَقْبَلْتُ خَاشِعًا
فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي تَعَفُّ عَنْ مُتَمَرِّدٍ
فَإِنْ تَنْتَقِمُ مِنِّي فَلَسْتُ بِأَيْسٍ
فَجُرْمِي عَظِيمٌ مِنْ قَدِيمٍ وَحَادِثٍ
حَوَالِي فَضْلُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَإِنِّي لَأَتِي الذَّنْبَ أَعْرِفُ قَدْرَهُ
وَفِي الْقَلْبِ إِشْرَاقُ الْمُحِبِّ بِوَصْلِهِ
حَوَالِي إِيْنَسَاسٌ مِنَ اللَّهِ وَخُسْدُهُ

تَفِيضُ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا^(١)
عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَأْتَمًا
وَفِيمَا سِوَاهُ فِي الْوَرَى كَانَ أَعْجَمًا^(٢)
وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمًا
أَخَا السَّهْدِ وَالنَّجْوَى إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمًا^(٣)
كَفَى بِكَ لِلرَّاجِينَ سُؤْلًا وَمَغْنَمًا^(٤)
وَلَا زِلْتَ مَنَانًا عَلَيَّ وَمُنْعِمًا
وَيَسْتُرُ أَوْزَارِي وَمَا قَدْ تَقَدَّمَ^(٥)
وَلَوْلَا الرِّضَى مَا كُنْتُ يَا رَبَّ مُنْعَمًا
ظُلُومٍ غَشُومٍ لَا يُزَايِلُ مَأْتَمًا
وَلَوْ أَدْخَلُوا نَفْسِي بِجُرْمِ جَهَنَّمَ
وَعَفْوِكَ يَأْتِي الْعَبْدَ أَعْلَى وَأَجْسَمًا
وَنُورٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَفْتَرِشُ السَّمَاءَ
وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفُو تَرَحُّمًا
إِذَا قَارَبَ الْبُشْرَى وَجَازَ إِلَى الْحِمَى
يُطَالِعُنِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ أَنْجُمًا

(١) النَّدْبُ: السريع إلى الفضائل.

(٢) الْوَرَى: الناس. أَعْجَم: أخرج.

(٣) السَّهْدُ: الأرق. النَّجْوَى: بث الأسرار الخفية ليلاً.

(٤) السُّؤْلُ: ما يُسأل، البغية.

(٥) أَوْزَارِي: ذنوبي.

أَصُونُ وَدَادِي أَنْ يُدَنِّسَهُ الْهَوَى
فَفِي يَقْظَتِي شَوْقٌ وَفِي غَفَوَتِي مُنَى
وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ يَسْلَمْ مِنَ الْوَرَى
وَأَحْفَظُ عَهْدَ الْحُبِّ أَنْ يَتَثَلَّمَا
تَلَا حِقُّ خَطْوِي نَشْوَةً وَتَرْتُمَا
وَمَنْ يَرْجُهُ هَيْهَاتَ أَنْ يَتَنَدَّمَا

★ ★ ★

أَنَا إِنْ عِشْتُ لَسْتُ أَغْدَمُ قُوتًا
وَإِذَا مَا قَنِعْتُ بِالْقُوتِ عُمْرِي
وَإِذَا مُتُّ لَسْتُ أَغْدَمُ قَبْرًا
فَلَمَّاذَا أَزُورُ زَيْدًا وَعَمْرًا

★ ★ ★

رَأَيْتُ الْقَنَاعَةَ رَأْسَ الْغِنَى
فَلَا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ
فَصِرتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهَمٍ
فَصِرتُ بِأَذْيَالِهَا مُتَمَسِّكٌ
وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكٌ
أَمْرٌ عَلَى النَّاسِ شِبْهَ الْمَلِكِ

★ ★ ★

كَمْ ضَا حِكِّ وَالْمَنَايَا فَوْقَ هَامَتِهِ
مَنْ كَانَ لَمْ يُؤْتَ عِلْمًا فِي بَقَاءِ غَدٍ
لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غِيًّا مَاتَ مِنْ كَمَدٍ
مَاذَا تَفَكَّرُهُ فِي رِزْقٍ بَعْدَ غَدٍ

★ ★ ★

إِذَا أَصْبَحْتُ عِنْدِي قُوتُ يَوْمِي
وَلَا تُخْطِرُ هُمُومَ غَدٍ بِيَالِي
أَسَلَّمُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا
وَمَا لِإِرَادَتِي وَجْهٌ إِذَا مَا
فَخَلَّ اللَّهُ عَنِّي يَا سَعِيدُ
فَبِإِنْ غَدًا لَهُ رِزْقٌ جَدِيدُ
فَأَتْرُكُ مَا أُرِيدُ لِمَا يُرِيدُ
أَرَادَ اللَّهُ لِي مَا لَا أُرِيدُ

★ ★ ★

تَدْرَعْتُ ثَوْبًا لِلْقَنُوعِ حَصِينَةً أَصُونُ بِهَا عِرْضِي وَأَجْعَلُهَا ذُخْرًا
وَلَمْ أَخْذِرِ الدَّهْرَ الْخَوُونَ فَإِنَّمَا قُصَارَاهُ أَنْ يَرْمِي بِيَ الْمَوْتِ وَالْفَقْرَا
فَأَعْدَدْتُ لِلْمَوْتِ الْإِلَهَ وَعَفْوَهُ وَأَعْدَدْتُ لِلْفَقْرِ التَّجَلْدَ وَالصَّبْرَا

★ ★ ★

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي
وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقٍ فَلَيْسَ يَفُوتُنِي وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبَحَارِ الْعَوَامِقِ
فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ

★ ★ ★

صالح بن عبد القدوس

هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي (٠٠٠ - نحو ١٦٠ هـ / نحو ٧٧٧ م) شاعر حكيم، وشعره كله أمثال وحكم وآداب. اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله ببغداد. ومن أشعاره الزهدية نكتطف ما يلي:

★ ★ ★

اللهُ أَحْمَدُ شَاكِراً	فبلاؤه حَسَنٌ جَمِيلُ
أَصْبَحْتُ مَسْتُوراً مُعَافَى	بَيْنَ أَنْعَاجِهِ أَجْوَلُ
خَلَوْا مِنَ الْإِخْوَانِ خَفْ	الظَّهْرُ يُقْنِعُنِي الْقَلِيلُ
سَيَانِ عِنْدِي ذُو الْغِنَى	الْمِثْلَافُ وَالْمُثْرَى الْبَخِيلُ
وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَنْ	خَفَّتْ مَوْوَنَتُهُ خَلِيلُ

★ ★ ★

وقال:

دَعْ هَذِهِ الدُّنْيَا عِدَاكَ زَمَانَهُ	وَأَزْهَدْ فَعُمُرُكَ مَرَّ مِنْهُ الْأَطْيَبُ
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ	وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ

وَعُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْقَى لَهَا دَارَ حَقِيقَتِهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
تَبًّا لِإِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرُبُ

★ ★ ★

وقال:

بَلَوْتُ أُمُورَ النَّاسِ سَبْعِينَ حَجَّةً وَلَا بَسْتُ صَرْفَ الدَّهْرِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
فَلَمْ أَرَ بَعْدَ الدِّينِ خَيْرًا مِنَ الْغِنَى وَلَمْ أَرَ بَعْدَ الْكُفْرِ شَرًّا مِنَ الْفَقْرِ

★ ★ ★

أبو نُوَّاس

هو الحسن بن هانئ (٧٦٢م / ١٤٥ هـ - ٨١٣م / ١٩٨ هـ) نشأ في البصرة يعبّ من العلوم بذكاء متوقّد، ويتلمذ لبعض المجّان والخلعاء. عاش في السكر واللهو والمجون. وهو شاعر الخمرة بلا منازع. لكنّه رغب عنها في آخر حياته، وتزهد، وقال شعراً كثيراً في الزهد. وقصائده الزهدية تبلغ العشرات، وتمتاز بمعاناة الشاعر الخوف والتأثم، لأنّه كان في زهدياته هو الذات والموضوع بخلاف أبي العتاهية الذي كان يرنو من الخارج. ويخيّل إلينا حيناً أنّها من الشعر الصادق الذي يدنو إلى شعر الاعترافات، وإنّ كان لا يداني اعترافات الأولياء، وفيما يلي بعض قصائده الزهدية:

أيا مَنْ لَيْسَ لِي مِنْهُ مُجِيرُ	بعفوكَ مِنْ عَذَابِكَ أَسْتَجِيرُ
أنا العبدُ المُقِرُّ بكلِّ ذَنْبٍ	وأنتَ السيّدُ المولى الغفورُ
فإنْ عَذَّبْتَنِي فَبِسْوَءٍ فَعَلِي	وإنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ بِهِ جَدِيرُ
أفرُّ إِلَيْكَ مِنْكَ... وَأَيْنَ إِلَّا	إِلَيْكَ يَفِرُّ مِنْكَ المُسْتَجِيرُ

★ ★ ★

يا بَنِي النَّقْصِ وَالْعَبَسِ وبني الضَّعْفِ وَالْخَوَرِ^(١)

(١) الخَوَر: الضعف.

وبني البُعْدِ فِي الطُّبَا عِ عَلَى الْقُرْبِ فِي الصُّورِ
 وَالشُّكُولِ الَّتِي تَبَا يَنْ فِي الطُّولِ وَالْقِصَرِ^(١)
 اِحْتِسَاءً مِنْ الْحَرَا مِ، وَخَتْمًا عَلَى الصُّرَرِ^(٢)
 أَيْنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ ذَوِي الْبَاسِ وَالخَطَرِ
 سَائِلُوا عَنْهُمْ الْمَدَا ثَنَ، وَاسْتَبَحِثُوا الْخَبَرَ
 سَبَقُونَا إِلَى الرَّحِي لِ وَإِنَّا عَلَى الْأَثَرِ
 مَنْ مَضَى عِبْرَةً لَنَا وَغَدًا نَحْنُ مُعْتَبَرُ
 إِنْ لِلْمَوْتِ أَخْذَةٌ تَسِيقُ اللَّمَحَ بِالْبَصَرِ
 فَكَأَنِّي بِكُمْ غَدًا فِي ثِيَابٍ مِنَ الْمَدَرِ^(٣)
 قَدْ نُقِلْتُمْ مِنَ الْقَصَوِ رِ إِلَى ظُلْمَةِ الْحُفْرِ
 حَيْثُ لَا تُضْرَبُ الْقَبَا بٌ عَلَيْكُمْ، وَلَا الْحُجَرُ
 حَيْثُ لَا تَظْهَرُونَ فِيهِ هَا لِلَّهِوِ وَلَا سَمَرُ
 رَحِمَ اللَّهُ مُسْلِمًا ذَكَرَ اللَّهُ فَازْدَجَرُ
 غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَ مَنْ خَافَ فَاسْتَشَعَرَ الْحَذَرُ..

★ ★ ★

يَا سَائِلَ اللَّهِ فُزْتَ بِالظَّفَرِ وَبِالنَّوَالِ الْهَنِيِّ لَا الْكَدْرِ
 فَارْغَبْ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى بَشَرٍ مُنْتَقِلٍ فِي الْبَلَى وَفِي الْغَيْرِ

- (١) الشُّكُولُ: الأشكال. تباين: بحذف تاء المضارعة، تنباعد.
- (٢) احتسَاء: شربًا، والهمزة: أداة استفهام. يريد أنهم يرتكبون المحرمات، ولا يفعلون الحسنات، وَيَصْنَعُونَ بِأَمْوَالِهِمْ شَحًّا حَتَّى إِنَّهُمْ يَجْمَعُونَهَا فِي صُرَرٍ وَيَخْتُمُونَهَا.
- (٣) الْمَدَرُ: قطع الطين اليابس، والمراد الحفرة التي يدفن بها الميت.

وَأَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى جَسَدٍ
 إِنَّ الَّذِي لَا يُخَيِّبُ سَائِلُهُ
 مَا لَكَ بِالتُّرَّهَاتِ مُشْتَغَلًا
 مُنْتَقِلٌ مِنْ صَبَا إِلَى كَبَرٍ
 جَوْهَرُهُ غَيْرُ جَوْهَرِ الْبَشَرِ
 أَفِي يَدَيْكَ الْأَمَانُ مِنْ سَقَرٍ

★ ★ ★

أَخِي مَا بَالُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَنْقَى
 أَلَا يَا ابْنَ الذِّينَ قَنَؤُوا وَبَادُوا
 وَمَا لَكَ فَاعْلَمَنْ فِيهَا مَقَامٌ
 وَمَا لَكَ غَيْرَ مَا قَدَمْتَ زَادٌ
 وَمَا أَحَدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أَحْظَى
 كَأَنَّكَ لَا تَظُنُّ الْمَوْتَ حَقًّا
 أَمَا وَاللَّهِ مَا بَادُوا لِتَبْقَى
 إِذَا اسْتَكْمَلْتَ آجَالًا وَرِزْقًا
 إِذَا جُعِلْتَ إِلَى اللَّهَوَاتِ تَرْقَى
 وَمَا أَحَدٌ بِذَنْبِكَ مِنْكَ أَشْقَى

★ ★ ★

كُنْ مَعَ اللَّهِ يَكُنْ لَكَ
 لَا تَكُنْ إِلَّا مَعْدًا
 إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَهْمًا
 نَحْنُ نَجْرِي فِي أَفَانِينَ
 فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ
 وَاتَّقِ اللَّهَ لَعَلَّكَ
 لِلْمَنَآيَا فَكَأَنَّكَ
 وَاقِعًا دُونَكَ أَوْ بِكَ
 سُكُونٍ وَتَحَرُّكٍ
 وَبِتَقْوَاهُ تَمَسَّكَ

★ ★ ★

الْمَوْتُ مِنَّا قَرِيبٌ
 فَنِي كُلِّ يَوْمٍ نَعْيٌ
 وَلَيْسَ عَنَّا بِنَازِحٌ^(١)
 تَصِيحُ مِنْهُ الصَّوَائِحُ^(٢)

(١) النازح: البعيد.

(٢) النعي: مثل النعي: خبر الموت.

تَشْجَى القلوبُ، وتبكي
حتى متى أنت تلهو
والموتُ في كلِّ يومٍ
فاعْمَلْ ليومٍ عبوسٍ
ولا يَغُرَّنْكَ دُنْيَا
وبُغْضُهَا لَكَ زَيْنٌ
مَوْلَاتُ النَّوائِجِ
في غَفْلَةٍ، وتُمازِحُ!^(١)
في زَنْدٍ عَيْشِكَ قَادِحُ^(٢)
من شِدَّةِ الهولِ كالِحُ^(٣)
نعيْمُهَا عنكَ نازِحُ
وحُبُّهَا لَكَ ناصِحُ

★ ★ ★

أَيَا مَنْ يَتَنَ باطِيَّةٍ وَزِقُ
إذا لم تَنَّهُ نَفْسَكَ عَنْ هَوَاهَا
وَمَنْ أَسْوَا وَأَقْبَحُ مَنْ لِيَبِ
وعُودٍ في يَدَيِ غَانٍ يُغْنِي^(٤)
وتُحْسِنُ صَوْنَهَا فَإِلَيْكَ، عَنِي^(٥)
يُرَى مُتَطَرِّبًا فِي مِثْلِ سَنِي^(٦)

★ ★ ★

أَيَّةُ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ
لِلَّهِ دُرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاغِظِ
يَأْبَى الْفَتَى إِلَّا اتَّبَاعَ الْهَوَى
فَاسْمُ بَعِينِكَ إِلَى نِسْوَةٍ
وَأَيُّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَازِحُ^(٧)
وَنَاصِحٍ لَوْ سُمِعَ النَّاصِحُ
وَمَنْهَجُ الْحَقِّ لَهُ وَاضِحُ^(٨)
مُهورُهُنَّ الْعَمَلُ الصَّالِحُ^(٩)

(١) الزند: الحديدة التي تُستنبط النار منها.

(٢) كالح: عابس.

(٣) الباطية: نوع من آنية الشراب. الزق: السقاء. الغاني: المقيم.

(٤) إليك عني: ابتعد.

(٥) متطربًا: طروبًا.

(٦) القادح: مستنبط النار من الزناد.

(٧) منهج الحق: طريقه.

(٨) اسم بعينيك إلى نسوة: تطلّع بهما إلى حور الجنة.

لا يَجْتَلِي الحوراءَ مِنْ خِذْرِها إلا امرؤُ ميزانُهُ راجِحُ^(١)
 مَنْ اتَّقَى اللهَ فذاك الَّذي سيقُ إليه المَتَجَرُّ الرابِحُ
 شَمَّرَ فما في الدِّينِ أَغْلُوطَةٌ ورُحٌ لما أنتَ لَهُ رايِحُ^(٢)

★ ★ ★

يا رَبِّ إِنَّ عَظُمْتَ ذُنُوبِي كَثْرَةً فلقد عَلِمْتُ بأنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
 إِنَّ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَيَمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ
 أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا فإذا رَدَدْتَ يَدَيَّ فَمَنْ ذا يَرْحَمُ
 ما لي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وجميلُ عَفْوَكَ.. ثم أَنِّي مُسَلِّمُ

★ ★ ★

أَفَنَيْتَ عُمْرَكَ، وَالذُّنُوبُ تَزِيدُ والكاتبُ الْمُخْصِي عَلَيْكَ شَهِيدُ
 كَمْ قُلْتَ لَسْتُ بِعائِدٍ فِي سَوْءَةٍ وَنَذَرْتَ فِيهَا ثُمَّ صِرْتَ تَعُودُ
 حَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْ لَذَّةٍ وحسابُها يَوْمَ الحِسابِ شَدِيدُ
 وَكَأَنِّي بِكَ قَدْ أَتَيْتُكَ مَيِّتَةٌ لا شَكَّ أَنَّ سَبِيلَها مُورُودُ

★ ★ ★

إِنَّ مَعَ اليَوْمِ - فاعْلَمَنَّ - غَدًا فانظُرْ بما يَنْقُضِي مَجِيءُ غَدِهِ
 ما ارْتَدَّ طَرْفُ امْرِئٍ بِلَذَّتِهِ إِلَّا وَشَيْءٌ يَمُوتُ مِنْ جَسَدِهِ

★ ★ ★

يا نُواسِيَّ تَوَقَّرْ وَتَجَمَّلْ، وَتَصَبَّرْ

(١) لا يجتلي الحوراء: لا ينظر إليها. ميزانه راجح: ميزانه مائل لأنه بالحسنات.

(٢) الأغلوطة: الكلام يُغلط فيه ويُغالط به.

سَاءَكَ الدَّهْرُ بِشَيْءٍ وبِمَا سَرَّكَ أَكْثَرُ
يا كَبِيرَ الذَّنْبِ عَفْوُ الـ لَهُ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرُ
أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ عَنْ أَصْدِ غَيْرِ عَفْوِ اللَّهِ أَصْغَرُ
لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا قَضَى اللَّهُ وَقَدَّرَ
لَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ تَذْيِ رَ بَلِ اللَّهُ الْمُدَبِّرُ

★ ★ ★

انْقَضَتْ شِرَّتِي فِعَنْتُ الْمَلاَهِي إِذْ رَمَى الشَّيْبُ مَفْرَقِي بِالذَّوَاهِي^(١)
وَنَهْتَنِي النَّهْيَ فَمِلْتُ إِلَى الْعَدُوِّ لِ وَأَشْفَقْتُ مِنْ مَقَالَةِ نَاهِ^(٢)
أَيُّهَا الْغَافِلُ الْمُقِيمُ عَلَى السَّهْوِ هُوَ، وَلَا عُذْرَ فِي الْمَقَامِ لَسَاهِ..
لَا بِأَعْمَالِنَا نُطِيقُ خَلَاصًا يَوْمَ تَبْدُو السَّمَاءُ فَوْقَ الْجِبَاهِ^(٣)
غَيْرَ أَنِّي عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالتَّفَدُّ رِيطٍ رَاجٍ لِحُسْنِ عَفْوِ اللَّهِ^(٤)

★ ★ ★

دَبَّ فِي السَّقَامِ سُفْلًا وَعُلُوًّا وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوًا
لَيْسَ تَمْضِي مِنْ لَحْظَةٍ بِي إِلَّا نَقَصْتَنِي بِمَرِّهَا فِي جُزْوًا
ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِحَاجَةِ نَفْسِي وَتَطَلَّيْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نِضْوًا^(٥)
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيْالٍ وَأَيَّامٍ، تَجَاوَزْتُهُنَّ لِعَبَا وَلَهْوَ
قَدْ أَسَانَا كُلَّ الْإِسَاءَةِ، فَاللَّهُمَّ صَفْحًا عَنَّا، وَغُفْرًا، وَعَفْوًا

(١) الشَّرَّةُ: يريد شَرَّةَ الشباب أي حِدَّتَهُ ونشاطه.

(٢) النَّهْيُ: جمع نُهْيَةٍ وهي العقل.

(٣) يقول: إن يوم القيامة هو اليوم الذي تقترب فيه السماء من الجباه.

(٤) التفريط: التقصير.

(٥) النضو: المهزول.

أبو تمام

هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (١٨٨ هـ / ٨٠٤ م - ٢٣١ هـ / ٨٤٦ م) شاعر أديب وأحد أمراء البيان. ولد في حوران (سوريا)، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء عصره، فأقام في العراق. اختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري. له تصانيف منها «فحول الشعراء»، و«ديوان الحماسة»، و«ديوان شعر».

★ ★ ★

أَلِلْعُمُرِ فِي الدُّنْيَا تَجِدُ وَتَعْمُرُ	وَأَنْتَ غَدًا فِيهَا تَمُوتُ وَتُقْبَرُ
تُلْقَحُ آمَالًا وَتَرْجُو نِتَاجَهَا	وَعُمْرُكَ مِمَّا قَدْ تُرَجِّيهِ أَقْصَرُ
وَهَذَا صَبَاحُ الْيَوْمِ يَنْعَاكَ ضَوْؤُهُ	وَلَيْلَتُهُ تَنْعَاكَ إِنْ كُنْتَ تَشْعُرُ
تَحُومُ عَلَى إِدْرَاكِ مَا قَدْ كُفِّيَتْهُ	وَتُقِيلُ بِالْآمَالِ فِيهِ وَتُدِيرُ
وَرِزْقُكَ لَا يَعْدُوكَ إِلَّا مُعَجَّلُ	عَلَى حَالِهِ يَوْمًا وَإِمَّا مُؤَخَّرُ
فَلَا تَأْمَنِ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ	عَلَيْكَ فَمَا زَالَتْ تَخُونُ وَتُدِيرُ
وَشَمْرُ فَقْدِ أَبْدَى لَكَ الْمَوْتُ وَجْهَهُ	وَلَيْسَ يَنْالُ الْفَوْزَ إِلَّا الْمُشْمَرُ
تَذَكَّرْ وَفَكَّرْ فِي الَّذِي أَنْتَ صَائِرُ	إِلَيْهِ غَدًا إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُفَكَّرُ
فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَصِيرَ لِحُفْرَةٍ	بِأَثْنَائِهَا تُطْوَى إِلَى يَوْمٍ تُنْشَرُ ^(١)

(١) تُنْشَرُ: تُحْيَى مِنْ جَدِيدٍ.

تَطَهَّرْ وَالْحَقُّ ذَنْبُكَ الْيَوْمَ تَوْبَةً
فَهَذِي اللَّيَالِي مُؤَذِّنَاتُكَ بِالْإِبْلَى
وَأَخْلِصْ لِدِينِ اللَّهِ صَدْرًا وَنِيَّةً
وَقَدْ يَسْتُرُ الْإِنْسَانُ بِاللَّفْظِ فِعْلَهُ
تَأْمَلْ وَفَكِّرْ فِي الَّذِي أَنْتَ صَائِرٌ
لَعَلَّكَ مِنْهُ إِنْ تَطَهَّرْتَ تَطَهَّرْ
تَرْوَحُ وَأَيَّامٌ كَذَاكَ تُبَكِّرُ
فَإِنَّ الَّذِي تُخْفِيهِ يَوْمًا سَيَظْهَرُ
فَيَظْهَرُ عَنْهُ الطَّرْفُ مَا كَانَ يَسْتُرُ
إِلَيْهِ غَدًا إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُفَكِّرُ

★ ★ ★

البرعيّ

هو عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعيّ اليمانيّ (٠٠٠ - ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م). شاعر زاهد متصوّف من سكان « النيابتين » في اليمن. ونسبته إلى « بُرْع »، وهو جبل بتهامة. أفتى ودرّس. له « ديوان شعر » أكثره في المدائح النبويّة. وفيما يلي مقتطفات من زهدياته.

★ ★ ★

أَحْبَابَ قَلْبِي مَضَى زَمَانِي	وَنَغَصْتُ عَيْشِي الْهُمُومُ
وَفَرَّقَ الْمَوْتُ أَهْلَ عَصْرِي	فَلَا صَدِيقٌ وَلَا حَمِيمُ
وَأَخْلَفَ الدَّهْرُ خَلْفَ سَوْءِ	كَأَنِّي بَيْنَهُمُ يَتِيمُ
وَالآنَ حَانَ الرَّحِيلُ مِنِّي	وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَدُومُ
وَمَا تَزَوَّدْتُ غَيْرَ ذَنْبٍ	عَذَابُهُ دَائِمٌ أَلِيمُ
يُصْرِّحُ الْوَعْظُ بِي وَقَلْبِي	كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ صَمِيمُ
أَبَارِزُ اللَّهِ بِالْخَطَايَا	وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ حَلِيمُ
فَكَمْ خَلَعْتُ الْعِذَارَ جَهْلًا	وَلُمْتُ فِي الْغَيِّ مَنْ يَلُومُ
وَكَمْ تَعَامَيْتُ عَنْ رَشَادِي	وَمَنْهَجِ الْحَقِّ مُسْتَقِيمُ

لَا أَنْتَهِيَ عَنْ قَبِيحٍ فَعَلِي
عَصَيْتُ طِفْلاً وَصِرْتُ أَغْصَى
شَيْبٍ وَعَيْبٍ وَحَمْلُ ذَنْبٍ
يَا جَامِعَ الْمَالِ مِنْ حَرَامٍ
وَتَقْتَضِي وَزْرَهُ وَتُلْقِي
وَكَيْفَ يَهْنِكَ صَفْوُ عَيْشٍ
يَا وَاسِعَ اللَّطْفِ جُدْ بِفَضْلٍ
إِنْ قَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ ذَنْبِي
وَإِنْ شَكَ مِنْ خُصُومٍ سَوْءٍ
وَسَامِحِ الْكُلَّ فِي ذُنُوبٍ

★ ★ ★

وقال في الإغراء بالتوبة:

يَا مُحْسِنًا بِالزَّمَانِ ظَنًّا
لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا
وَاخْجَلْتِي مِنْ عِتَابِ رَبِّي
إِلَى مَتَى أَنْتَ فِي الْمَعَاصِي
لَوْ خَوَّفَتْكَ الْجَحِيمُ بَطْشِي
أَنْتَ شُجَاعٌ عَلَى الْمَعَاصِي
عِنْدِي لَكَ الصُّلْحُ وَهُوَ بِرِّي
فَاسْتَحْيِ مِنْ شَيْبَةٍ تَرَاهَا

وَلَا أَصْلِي وَلَا أَصُومُ
وَالشَّيْبُ فِي مَفْرِقِي يَحُومُ
وَالذَّنْبُ بَعْدَ الْمَشِيبِ شُومُ
سَيَقْتَضِي مَالِكَ الْغَرِيمُ
فِي النَّارِ يَغْلِي بِهَا الْحَمِيمُ
خِتَامُهُ عَلَقَمٌ عَقِيمُ
وَرَحْمَةٌ مِنْكَ يَا كَرِيمُ
فَقُلْ أَنَا الْمُسْفِقُ الرَّحِيمُ
فَحُلْ مَا تَعْقِدُ الْخُصُومُ
أَنْتَ بِهَا سَيِّدِي عَلِيمُ

★ ★ ★

لَمْ تَدْرِ مَا يَفْعَلُ الزَّمَانُ
إِنَّ أَتْبَاعَ الْهَوَى هَوَانُ
إِنْ قَالَ أَسْرَفْتَ يَا فُلَانُ
تَسِيرُ مُرْخَى لَكَ الْعِنَانُ
لَشَوَّقَتْ قَلْبَكَ الْجِنَانُ
وَأَنْتَ عَنْ طَاعَتِي جَبَانُ
وَعِنْدَكَ السَّيْفُ وَالسِّنَانُ
فِي النَّارِ مَسْجُونَةٌ تُهَانُ

أَيُّ أَوَانٍ تَتُوبُ فِيهِ	هَلْ بَعْدَ قَطْعِ الرَّجَا أَوَانُ
يَا سَيِّدِي هَذِهِ عِيُوبِي	وَأَنْتَ فِي الْخَطْبِ مُسْتَعَانُ
يَا مَنْ لَهُ فِي الْعُصَاةِ شَانُ	وَشَأْنُهُ الْعَطْفُ وَالْحَنَانُ
يَا مَنْ مَلَأَ بِرَّهُ النَّوَاحِي	لَمْ يَخْلُ مِنْ بِرِّهِ مَكَانُ
عَفُوءًا فَإِنِّي رَهِيْنُ ذَنْبِ	حَاشَاكَ أَنْ يَغْلِقَ الرَّهَانُ

★ ★ ★

ابن المقرئ

هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم (٧٥٥هـ / ١٣٥٤م - ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ولد باليمن. تولى التدريس بتعز وزبيد، وولي إمرة بعض البلاد في دولة الأشرف، ومات بزبيد. له تصانيف كثيرة، منها «عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي»، و«ديوان شعر»، و«الإرشاد» في فروع الشافعية. وفيما يلي قصيدة له في التوبة.

إِلَى كَمْ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ	وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَقْظَةٍ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرٌ سَاعَةً مِنْهُ تُشْتَرَى	بِمِلْءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَيْةٍ ضَيْعَةٍ
أَتَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَعَيْشَةٍ	مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بَعِيشِ الْبَهِيمَةِ
فَيَا دُرَّةَ بَيْنَ الْمَزَابِلِ أَلْقَيْتِ	وَجَوْهَرَةً بِيَعْتَ بِأَبْخَسِ قِيمَةٍ
أَفَانِ بِبَاقٍ تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةً	وَسُخْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَنَّةٍ
أَأَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ	فَإِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا	فَعَلْتَ لَمَسَّتْهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
لَقَدْ بَغْتَهَا هُونًا عَلَيْكَ رَخِصَةً	وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
كَلِفْتَ بِهَا دُنْيَا كَثِيرَ غُرُورِهَا	تُقَابِلُنَا فِي نُصْحِهَا بِالْخَدِيعَةِ

عَلَيْكَ بِمَا يُجْدِي عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى
 تُصَلِّي بِلا قَلْبِ صَلَاةٍ بِمِثْلِهَا
 تُخَاطِبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلًا
 وَلَوْ رَدَّ مِنْ نَاجَاكَ لِلغَيْرِ طَرْفَهُ
 فَوَيْلَكَ تَذَرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مُعْرِضًا
 تَقُولُ مَعَ الْعِصْيَانِ رَبِّي غَافِرٌ
 وَرَبُّكَ رَزَاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ
 فَكَيْفَ تُرَجِّي الْعَفْوَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ
 وَهِيَ هُوَ بِالْأَرْزَاقِ كَفَّلَ نَفْسَهُ
 وَمَا زِلْتَ تَسْعَى فِي الَّذِي قَدْ كُفِّيَتْهُ
 تُسِيءُ بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ تَارَةً
 فَإِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةٍ
 يَصِيرُ الْفَتَى مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
 عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
 تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
 وَبَيْنَ يَدَيَّ مَنْ تَنْحَنِي غَيْرَ مُخْبِتٍ
 صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمَشِيئَةِ
 فَلِمَ لَمْ تُصَدِّقْ فِيهِمَا بِالسَّوِيَّةِ
 وَلَسْتَ تُرَجِّي الرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةٍ
 وَلَمْ يَتَكَفَّلْ لِلْأَنَامِ بِجَنَّةٍ
 وَتُهْمِلُ مَا كَلَّفَتْهُ مِنْ وَظِيفَةٍ
 عَلَى حَسَبِ مَا يَقْضِي الْهَوَى بِالْقَضِيَّةِ

★ ★ ★

البُهلول

هو أحمد بن حسين بن أحمد بن محمد (٠٠٠ - ١١١٣هـ/١٧٠١م) متصوِّف فاضل من أهل طرابلس الغرب. رحل إلى مصر، ولقي علماءها، وعاد إلى بلده. له «درّة العقائد» منظومة، و«المعينة» منظومة في فقه الحنفية، و«ديوان شعر» صغير مرّتب على الحروف. وفيما يلي مقتطفات من قصائده الزهدية:

★ ★ ★

دَعِ الحِرْصَ على الدُّنْيَا	وفي العِيشِ فلا تَطْمَعْ
ولا تَجْمَعْ مِنَ المالِ	فلا تَذْري لِمَنْ تَجْمَعْ
فإنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ	وسوءُ الظَّنِّ لا يَنْفَعُ
فَقِيرٌ كلُّ ذي حِرْصٍ	غنيٌّ كلُّ مَنْ يَقْنَعُ

★ ★ ★

وقال:

وَهَبْ أَنْ قَدْ مَلَكَتِ الأَرْضَ طُورًا	ودانَ لَكَ البلادُ فكانَ ماذا
أليسَ غداً مصيرُكَ جَوْفَ تُرْبٍ	ويَحْثُو التُّرْبَ هذا ثُمَّ هذا؟

★ ★ ★

وقال:

يا مَنْ تَمَتَّعَ بالدُّنْيَا وزِينَتِها	ولا تَنامُ عنِ اللَّذاتِ عِناهُ
شَغَلْتَ نَفْسَكَ في ما لَسْتَ تَذْكُرُهُ	تقولُ لِلَّهِ ماذا حينَ تَلقاهُ؟

★ ★ ★

الحسن بن الهبل

هو حسن بن علي بن جابر الهبل اليماني (١٠٤٨هـ/١٦٣٨م - ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م)، شاعر زيدي عنيف، في شعره جودة ورقّة. من أهل صنعاء ولادة ووفاة. أصله من قرية «بني الهبل»، وهي هجرة من هجر «خولان». وفيما يلي بعض المقتطفات من شعره الزهدي:

أَيْنَ اسْتَقَرَّ السَّفَرُ الْأَوَّلُ	عَمَّا قَرِيبٍ بِهِمْ نَزَلُ
مَرُّوا سَرَاعاً نَحْوَ دَارِ الْبَقَا	وَنَحْنُ فِي آثَارِهِمْ نَرْحَلُ
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا لَنَا مَنْزَلاً	وَإِنَّمَا الْآخِرَةُ الْمَنْزَلُ
قَدْ حَذَرْتَنَا مِنْ تَصَارِيفِهَا	لَوْ أَنَّنَا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ
يُطِيلُ فِيهَا الْمَرْءُ آمَالَهُ	وَالْمَوْتُ مِنْ دُونِ الَّذِي يَأْمَلُ
يَحْلُو لَهُ مَا مَرَّ مِنْ عَيْشِهَا	وَدُونَهُ لَوْ عَقَلَ الْحَنْظَلُ
أَلْهَتْهُ عَنْ طَاعَةِ خَلْقِهِ	وَاللَّهُ لَا يُلْهِوُ وَلَا يَغْفُلُ
يَا صَاحِبِ مَا لَذَّةِ الْعَيْشِ بِهَا	وَالْمَوْتُ مَا تَدْرِي مَتَى يَنْزِلُ
يَدْعُو لِي الْأَحْبَابُ مِنْ بَيْنِنَا	يُجِيبُهُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ
يَا جَاهِلاً يَجْهَدُ فِي كَسْبِهَا	أَغْرَكَ الْمَشْرَبُ وَالْمَأْكَلُ

ويا اخا الحرصِ على جمعِها مهلاً فَعَنَها في غدٍ تُسأل
لا تتعبَنَ فيها ولا تأسَفَنَ لما مضى فالأمرُ مستقبل
ما قولُنا بينَ يدي حاكمٍ يعدلُ في الحكمِ ولا يعزل
ما قولُنا لله في موقفٍ يخرسُ فيه المِصْقَعُ المِقُول
وإنْ سئَلنا فيه عن كلِّ ما نقولُ في الدنيا وما نفعل
ما الفوزُ للعالمِ في علمِه وإنما الفوزُ لِمَن يَعْمَلُ

★ ★ ★

رويدك من كسب الذنوب

وله أيضاً:

رُويَدَكَ مِن كَسَبِ الذَّنوبِ فَأَنْتَ لَا تطيقُ على نارِ الجحيمِ ولا تقوى
أترضى بأن تلقى المهيمَنَ في غدٍ وأنتَ بلا علمٍ لَدَيْكَ ولا تقوى

★ ★ ★

محمود الوراق

هو محمود بن حسن الوراق (٠٠٠ - نحو ٢٢٥ هـ / نحو ٨٤٠ م)
شاعر ، أكثر شعره في المواعظ والحكم ، روى عنه ابن أبي الدنيا . وفي « الكامل »
للمبرد نتف من شعره ، وهو صاحب البيت المشهور :
« إِذَا كَانَ وَجْهُ الْعُذْرِ لَيْسَ بِبَيِّنٍ فَإِنَّ اطْرَاحَ الْعُذْرِ خَيْرٌ مِنَ الْعُذْرِ »
وفيما يلي بعض المقطوعات من شعره في الزهد :

وفي غنى النفس الغنى الأكبر

مَنْ كَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَلَمْ يَقْنَعْ فِذَاكَ الْمَوْسِرُ الْمَعِيرُ
وَكُلُّ مَنْ كَانَ قَنُوعاً وَإِنْ كَانَ مُقِلًّا فَهُوَ الْمَكْثَرُ

★ ★ ★

هي الدنيا

هِيَ الدُّنْيَا فَلَا يَفْرُكُ مِنْهَا مَخَايِلُ تَسْفِيزِ ذَوِي الْعُقُولِ

أَقْلُّ قَلِيلِهَا يَكْفِيكَ مِنْهَا وَلَكِنْ لَيْسَ تَصْنَعُ بِالْقَلِيلِ
تَشِيدُ بِهَا وَتَبْنِي كُلَّ يَوْمٍ وَأَنْتَ عَلَى التَّجَهُُّزِ وَالرَّحِيلِ

★ ★ ★

كَأَنَّهَا لَا تَرَى مَا يَصْنَعُ الْقَدَرُ

لَا يَنْفَعُ الْجِدُّ وَالتَّشْمِيرُ وَالْحَذَرُ خُطَّ الْكِتَابُ فَلَا وَرْدَ وَلَا صَدْرُ
تَسْتَعْجِلُ النَّفْسُ آمَالاً لَتَبْلُغَهَا كَأَنَّهَا لَا تَرَى مَا يَصْنَعُ الْقَدَرُ

★ ★ ★

كَذَاكَ انْتِقَالَ الدَّوَلِ

بَكَيْتَ لِقُرْبِ الْأَجَلِ وَبَعْدَ فَوَاتِ الْأَمَلِ
وَوَاقِدَ شَيْبِ طَرَا بِعَقَبِ شَبَابِ رَحَلِ
شَبَابٌ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَشَيْبٌ كَأَنْ لَمْ يَزَلْ
طَوَاكَ بِشِيرُ الْبَقَا وَجَاءَ نَذِيرُ الْأَجَلِ
طَوَى صَاحِبٌ صَاحِباً كَذَاكَ انْتِقَالَ الدَّوَلِ

★ ★ ★

يَا نَاطِراً

يَا نَاطِراً يَرْنُو بِعَيْنِي رَاقِدِ وَمَشَاهِداً لِلْأَمْرِ غَيْرَ مَشَاهِدِ
مَنْيْتَ نَفْسَكَ ضِلَّةً وَأَبْخَثَهَا طَرِقَ الرَّجَاءِ وَهَنْ غَيْرُ قَوَاصِدِ
تَصِلُ الذَّنُوبَ إِلَى الذَّنُوبِ وَتَرْتَجِي دَرْكَ الْجَنَانِ بِهَا وَفَوْزَ الْعَابِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمَآ مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

★ ★ ★

أَرُوعُ مَا قِيلَ فِي الزُّهْدِ وَالتَّصَوُّفِ - م ٤

أليس عجباً

أَلَيْسَ عَجِيبًا بَأَنَّ الْفَتَى يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ
فَمِنْ بَيْنِ بَاكِ لَهُ مَوْجِعٍ وَيَبْنِ مَعَزٌ مُغِذٌ إِلَيْهِ
وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ شَرْخَ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يُعَزِّيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ

★ ★ ★

ابن عبد ربّه

هو أحمد بن محمد بن عبد ربّه (٢٤٦هـ / ٨٦٠م - ٣٢٨هـ / ٩٤٠م) الأديب، الإمام، صاحب العقد الفريد. من أهل قرطبة. كان جدّه الأعلى سالم مولى لهشام بن عبد الرحمن بن معاوية. وكان ابن عبد ربّه شاعراً مذكوراً، فغلب عليه الاشتغال في أخبار الأدب وجمعها. له شعر كثير منه ما سمّاه «الممخصات»، وهي قصائد ومقاطع في المواعظ والزهد، نقض بها ما قاله في صباه من الغزل والنسيب. وكانت له في عصره شهرة ذائعة. وكتابه «العقد الفريد» من أشهر كتب الأدب. وله أرجوزة تاريخية ذكر فيها الخلفاء، وجعل معاوية رابعهم، ولم يذكر علياً (رض) فيهم. وفيما يلي مقتطفات من زهدياته:

مَنْ لِي إِذَا جُدْتُ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَكَانَ مِنِّي نَحْوُ الْمَوْتِ قِيدُ يَدِ
وَالدَّمَغُ يَهْمَلُ وَالْأَنْفَاسُ صَاعِدَةٌ فَالِدَمْعُ فِي صَبَبٍ وَالنَّفْسُ فِي صَعْدِ
ذَاكَ الْقَضَاءُ الَّذِي لَا شَيْءَ يَصْرِفُهُ حَتَّى يَفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ

★ ★ ★

لا بد لله من إنجاز ما وعدا

بادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ الْخُلُصَاءِ مُجْتَهِدًا وَالْمَوْتُ وَيَحْكُ لَمْ يَمُدُّ إِلَيْكَ يَدًا

وَأَرْقُبُ مِنَ اللَّهِ وَعْدًا لَيْسَ مُخْلَفُهُ لَا بَدَّ لِلَّهِ مِنْ إِنْجَازِ مَا وَعَدَا

★ ★ ★

إذا اخضر منها جانب جفّ جانب

ألا إنما الدنيا نضارة أَيْكَةٍ إذا اخضرّ منها جانب جفّ جانب
هي الدّارُ ما الآمالُ إلا فجائعٌ عليها ولا اللذاتُ إلا مصائبُ
فلا تكتحلّ عيناك فيها بِعَبْرَةٍ على ذاهبٍ منها فإنّك ذاهب

★ ★ ★

فإن الحزن عاقبة السرور

أتلهو بين باطية وزير^(١) وأنت من الهلاك على شفير
فيا من غرّة أمل طویل يؤدّيه إلى أجل قصير
أَتَفْرَحُ والمنيّة كلّ يوم تُريك مكان قبرك في القبور
هي الدنيا فإن سرّتك يوماً فإن الحزن عاقبة السّرور
ستسلب كلّ ما جمّعت منها كعارية تُردّ إلى المُعير
وتعتاضُ اليقين من التّظنّي ودار الحق من دار الغرور

★ ★ ★

(١) الباطية: وعاء الخمر. والوزير: الدقيق من أوتار الطرب كالعود ونحوه.

طويت زمانى برهة وطواني

طويتُ زمانى برهةً وطواني	كِلَانِي لِمَا بِي عَاذَلِي كَفَانِي
وَصَرَفَانِ لِلْأَيَّامِ مُعْتَوِرَانِي	بَلِيْتُ وَأَبْلَيْتُ اللَّيَالِي مُكْرَمَاهَا
وعشرِ أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا سَتَانِ	وَمَا لِي لَا أَبْلَى لِسَبْعِينَ حَجَّةً
ولي مِنْ ضَمَانِ اللَّهِ خَيْرُ ضَمَانِ	وإني بِعَمَلِ اللَّهِ رَاجٍ لِفَضْلِهِ
إذا كَانَ عَقْلِي بَاقِيًا وَلِسَانِي	ولستُ أَبَالِي مِنْ تَبَارِيحِ عِلَّتِي

★ ★ ★

يا ربَّ غفرانك

أخوفُ مِنْ أَنْ يَعدَلَ الحَاكِمُ	يا وَيْلَنَا مِنْ مَوْقِفٍ مَا بِهِ
وليسَ لي مِنْ دُونِهِ رَاحِمُ	أَبَارِزُ اللَّهِ بِعَصِيَانِهِ
أُسْرِفَ إِلَّا أَنَّهُ نَادِمُ	يا رَبِّ غُفْرَانِكَ عَنْ مَذْنِبِ

★ ★ ★

ابن جبیر

هو محمد بن أحمد بن جبیر الکنانی الأندلسي (٥٤٠ - ٦١٤ هـ / ١١٤٥ - ١٢١٧ م)، أديب بارع، وشاعر رقيق؛ أولع بالترحل والتنقل، فزار المشرق ثلاث مرّات، وفي إحداها ألف كتابه « رحلة ابن جبیر »؛ ومات بالإسكندرية في رحلته الثالثة. ويقال إنه لم يصنّف كتاب « رحلته »، وإنما قيّد معاني ما تضمّنته فتولّى ترتيبها بعض الآخذين عنه. من كتبه « نظم الجمان في التشكّي من إخوان الزمان » وهو ديوان شعره على قدر ديوان أبي تمام. وفيما يلي بعض من شعره الزهديّ:

خَلَعْتَ العِذارَ بِشَيْبِ العِذارِ	فما يُقبلُ اليومَ منكَ اعتذارُ
وقالوا المشيبُ وقارُ الفتى	وهذا المشيبُ فأينَ الوقارُ
جلا صبحه عنكَ ليلَ الشّبابِ	فشمسُكَ مُؤذِنَةٌ بِاصْفِرارِ
أراكَ صَحْبْتَ حياةَ الغرورِ	وتسحبُ جهلاً ذِیولَ اغترارِ
ألسْتَ ترى كدراً صفوها	ونجمكَ قد مالَ يبغى انكدارِ
وكيفَ تنامُ على غيرةِ	وسيفُ المنيةِ ماضي الغرارِ
فلو كنتَ تحذرُ صرفَ الرّدى	إذاً لَنَفى النّومَ عنكَ الحِذارِ
عبرتَ مراحلَ عمرِ الأشدِّ	ولستُ أرى لكَ فيها اعتبارِ
وجرتَ بها عن طريقِ الهدى	صلاةٌ وتعدو على أن تُجارِ

أَتَاكَ الرَّحِيلُ فَشَمَّرَ لَهُ فإِمَّا إِلَى جَنَّةٍ أَوْ لِنَارٍ
وَكَيْفَ تَقْرُ بِدُنْيَاكَ عَيْنًا وَلَمْ تَدْرِ أَيْنَ يَكُونُ الْقَرَارُ

★ ★ ★

وما الدنيا لساكنها بدار

أَرَاكَ مِنَ الْحَيَاةِ عَلَى اغْتِرَارٍ وَمَالِكَ بِالْإِنَابَةِ مِنْ بَدَارٍ^(١)
وَتَطْمَعُ فِي الْبَقَاءِ وَكَيْفَ تَبْقَى وَمَا الدُّنْيَا لِسَاكِنِهَا بِدَارٍ

★ ★ ★

وما يرجي لتوبته قبول

يُنِيلُ الْمَرْءُ تَبْصُرَةً وَذِكْرَى إِذَا مَا ابْيَضَّ قَوْدَاهُ وَشَابَا
وَمَا يُرْجَى لِتُوبَتِهِ قَبُولٌ إِذَا مَزَجَ الرِّيَاءَ بِهَا وَتَابَا

★ ★ ★

قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ الْكِنَانِيُّ أَحَدُ أَرْحَاحَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ :

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تَطْمِعُهُ فِي الْعَيْشِ وَالْأَجَلِ الْمَخْتُومِ يَقْطَعُهُ
يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي عَشْوَاءٍ يَخْطِئُهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةِ وَالْآمَالِ تَخْدَعُهُ
يَغْتَرُّ بِالدَّهْرِ مَسْرُورًا بِصُحْبَتِهِ وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الدَّهْرَ يَصْرَعُهُ
وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يُفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلْغَيْرِ يَجْمَعُهُ
تَرَاهُ يُشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ وَلَيْسَ يُشْفِقُ مِنْ دِينٍ يُضَيِّعُهُ
وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَذْيِيرًا لِعَاقِبَةٍ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمَرَ فِي مَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ

★ ★ ★

(١) البدار : السرعة.

ابن المبارك

هو عبدالله بن المبارك (١١٨ - ١٨١ هـ / ٧٣٦ - ٧٩٧ م)، الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار حاجاً ومجاهداً وتاجراً. جمع الحديث والفقه والعربية، وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفاً من غزو الروم. له كتاب في «الجهاد».

بُغِضَ الحَيَاةِ وَخَوْفُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي وَبِيعَ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنًا
إِنِّي وَزَنْتُ الَّذِي يَبْقَى لِيَعْدِلَهُ مَا لَيْسَ يَبْقَى فَلَا وَاللَّهِ مَا اتَّزَنَّا

★ ★ ★

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك

أَرَى أَنَا سَاءَ بِأَذْنَى الدِّينِ قَدْ قَنِعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا بِالْعِيشِ بِالسَّدُونِ
فَاسْتَغْنِ بِالْدِّينِ عَنِ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اسْتَغْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

★ ★ ★

يحصده الموت كلما طلعا

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ بَادِرِ الْوَرَعَا وَهَاجِرِ النَّوْمِ وَاهْجُرِ الشَّبَعَا

يا أيُّها النَّاسُ أنْتُمْ عُشْبٌ يحصدُهُ الموتُ كُلُّما طلعا

★ ★ ★

فلم يبقَ للأيامِ كهلٌ ولا فتى

ألا قِفْ بِدارِ المترفينِ وقُلْ لهمْ ألا أينَ أربابُ المدائنِ والقُرى
وأينَ الملوكُ النَّاعمونَ بغبطةٍ ومنَ عائقِ البُيُضِ الرَّعائِبِ كالذُّمى
فلو نطقتْ دارٌ لقالتْ ديارَهُمْ لكَ الخيرُ صاروا لِلتُّرابِ وَلِلْبلى
وأفناهمْ كَرُّ النَّهارِ وَليلُهُ فلم يبقَ لِلأيامِ كهلٌ ولا فتى

★ ★ ★

فطوبى لعبدٍ شغله بك دائماً

وكلُّ اجتِهَادٍ في سواكَ مضَيِّعٌ وكلُّ كلامٍ لا بِذكرِكَ آفاتٌ
وكلُّ اشتغالٍ لا بِحُبِّكَ باطلٌ وكلُّ سماعٍ لا لِقولِكَ زلاتٌ
وكلُّ اجتماعٍ لا إِلَيْكَ ضلالةٌ وجدُّ وسعيٍّ لا إِلَيْكَ بطالاتٌ
وكلُّ وقوفٍ لا لِبابِكَ خيبةٌ وكلُّ عكوفٍ لا إِلَيْكَ جنائياتٌ
وكلُّ رجاءٍ دونَ فضلِكَ آيسٌ وكلُّ حديثٍ عن سواكَ خطيئاتٌ
وأنتَ حراءُ الحبِّ والغيرِ باطلٌ فطوبى لعبدٍ ناله منك أوقاتٌ
فيا ويلَ قلبٍ لم تكنْ فيه ساكناً ويا فوزَ قلبٍ فيه منك موداتٌ
فطوبى لعبدٍ شغله بك دائماً كحالٍ مُحِبٍّ أدركتهُ العنايةات

وسحقاً لِمَطْرُودٍ عَنِ الْبَابِ مُبْعَدًا وليس له إِلَّا التَّشَاغُلُ هَمَّاتٍ
على نَفْسِهِ فَلْيَبْتَكَ مَنْ فَاتَهُ الْهَدَى وليس له عِزٌّ إِلَّا إِلَيْكَ وَنِيَّاتٍ

★ ★ ★

ما بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ تُدَنِّسَهُ وثوبكَ الدَّهْرَ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ
تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَتَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبْسِ

★ ★ ★

ابن يسير

هو محمد بن يسير البصري (٠٠٠ - نحو ٢١٠هـ / نحو ٨٢٥م)
شاعر من أهل البصرة. كان مولى لبني أسد، أو بني رياش. قال ابن قتيبة: كان
في عصر أبي نواس، وعمر بعده حيناً، وأورد مختارات من شعره، وهو صاحب
البيت المشهور:

«أَخْلَقَ بَذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُذْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا»

وفيما يلي بعض من مختاراته الزهدية:

وَنَعِيمٍ إِلَّا إِلَى تَغْيِيرِ	أَيُّ صَفْوٍ إِلَّا إِلَى تَكْدِيرِ
لَيْسَ رَهْنًا لَنَا بِيَوْمٍ عَسِيرِ	وَسُرُورٍ وَلِلذَّةِ وَحُبُورِ
أَنَا فِيهَا عَلَى شَفَا تَغْرِيرِ	عَجَبًا لِي وَمِنْ رِضَائِي بِدُنْيَا
إِذَا مِتُّ أَوْ عَذَابِ السَّعِيرِ	عَالِمٌ لَا أَشْكُ أَنْتِي إِلَى اللَّهِ
بَعْدَهُ يَصِيرُ مَصِيرِي	ثُمَّ أَلْهُو وَلَسْتُ أَدْرِي إِلَى
بِهِ تُبْرَزُ النُّعَاةُ سَرِيرِي	أَيُّ يَوْمٍ عَلَيَّ أَفْطَعُ مِنْ يَوْمِ
كُنْتُ حِينًا بِهِمْ كَثِيرَ الْمُرُورِ	كَلَّمَا مَرَّ بِي عَلَى أَهْلِ نَادِ

قِيلَ مَنْ ذَا عَلَى سِرِّرِ الْمَنَایَا قِيلَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ یَسِیرِ

★ ★ ★

ویل لمن لم یرحم الله

وَيَلِّ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمْ اللهُ	وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَشْوَاهُ
يَا حَسْرَتِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مَضَى	يَذْكُرُنِي الْمَوْتُ وَأَنْسَاهُ
مَنْ طَالَ فِي الدُّنْيَا بِهِ عَمْرُهُ	وَعَاشَ فَاَلْمَوْتُ قُصَارَاهُ
كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسِ	قَدْ كُنْتُ آتِيهِ وَأَغْشَاهُ
وَسَارِعَ الْيُسْرَى إِلَى رَبِّهِ	يَرْحُمُنَا اللهُ وَإِيَّاهُ

★ ★ ★

متفرقات زهدية

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَمِيرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ:

فُوَادٌ بِأَيْدِي النَّائِبَاتِ مُصَابٌ	وَجَفَنَ لِفَيْضِ الدَّمْعِ فِيهِ مُصَابٌ
تَنَاءَتْ دِيَارٌ قَدْ أَلْفَتْ وَجِيرَةً	فَهَلْ لِي إِلَى عَهْدِ الْوِصَالِ إِيَابٌ
وَفَارَقْتُ أَوْطَانِي وَلَمْ أَبْلُغِ الْمُنَى	وَدُونَ مُرَادِي أَبْحُرَ وَهَضَابٌ
مَضَى زَمَنِي وَالشَّيْبُ حَلَّ بِمَفْرِقِي	وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يُرَدَّ شَبَابٌ
إِذَا مَرَّ عُمُرُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِرَاجِعٍ	وَإِنْ حَلَّ شَيْبٌ لَمْ يُفِدْهُ خِضَابٌ

★ ★ ★

زهد رجل من بني العباس

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَلَّمِ : خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حُجَّاجًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ رَفَضَ الدُّنْيَا وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ . فَجَمَعْتَنِي وَإِيَّاهُ الطَّرِيقُ فَأَنِسْتُ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي فَإِنَّ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحِلَتِي . فَجَزَانِي خَيْرًا . ثُمَّ أُنِسَ إِلَيَّ فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ كُنْتُ أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَنِعْمَةٍ طَائِلَةٍ وَمَالٍ كَثِيرٍ وَبَدَخَ زَائِدٍ . فَأَمَرْتُ يَوْمًا خَادِمًا لِي أَنْ يَحْشُوَ لِي فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ وَمِخْدَةَ بِوَرْدٍ نَثِيرٍ . فَفَعَلَ . فَإِنِّي لَنَائِمٌ إِذَا يَتِمَعُ وَرْدَةٌ قَدْ نَسِيَهُ الْخَادِمُ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَأَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا . ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَضْجَعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقِمَعِ مِنَ الْمِخْدَةِ . فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فِي صُورَةِ فَطِيعَةٍ فَهَزَّنِي وَقَالَ : أَفِقْ مِنْ غَشْيَتِكَ وَأَنْتَبِهْ مِنْ رَقْدَتِكَ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خِلُّ إِنْكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْنًا وَسَدَّتْ بَعْدَ الْيَوْمِ صُمُّ الْجَنْدَلِ
فَأَمْهَدُ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَسْعُدُ بِهِ فَلَتَنْدَمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ
فَأَنْتَبَهْتُ مَرْغُوبًا . وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي .



ذو النون والزاهدة

قَالَ ذُو النُّونِ : بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ عَلَيْهَا
أَطْمَارُ شَعْرِ . فَإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَابِلَةٌ . فَدَتَوْتُ مِنْهَا لِأَسْمَعَ مَا تَقُولُ فَرَأَيْتُهَا مُتَّصِلَةً
الْأَحْزَانِ بِالشَّجَانِ . وَعَصَفَتِ الرِّيَّاحُ وَأَضْطَرَبَتِ الْأَمْوَاجُ وَظَهَرَتِ الْحَيَاتَانُ .
فَصَرَخْتُ ثُمَّ سَقَطْتُ إِلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا قَامَتْ نَحَبْتُ ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي بِكَ
تَقَرَّبَ الْمُتَقَرِّبُونَ فِي الْخَلَوَاتِ . وَلِعَظَمَتِكَ سَبَّحَتِ النَّيَّانُ^(١) فِي الْبَحَارِ الزَّاهِرَاتِ .
وَلِجَلَالِ قُدْسِكَ تَصَافَقَتِ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَاطِمَاتُ . أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ
الَّيْلِ وَضَوْءُ النَّهَارِ . وَالْفَلَكَ الدَّوَّارُ ، وَالْبَحْرُ الزَّخَّارُ ، وَالْقَمَرُ النَّوَّارُ ، وَالنَّجْمُ
الزَّهَّارُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمِقْدَارٍ لِأَنَّكَ الْعَلِيُّ الْقَهَّارُ . ثُمَّ أَنْشَدَتْ :

يَا مُؤْنِسَ الْأَبْرَارِ فِي خَلَوَاتِهِمْ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ النَّزَالُ
مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يَزَالُ مُتِّمًا قَرَحَ الْفُؤَادَ مُتِّمًا بَلْبَالُ
فَقُلْتُ لَهَا : عَسَى أَنْ تَزِيدَنِي مِنْ هَذَا . فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي . ثُمَّ رَفَعَتْ طَرْفَهَا
نَحْوَ السَّمَاءِ فَقَالَتْ :

أَحِبُّكَ حُبِّينِ حُبَّ الْوَدَادِ وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَ

(١) النينان : جمع النون ، وهو الحوت .

فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوَدَادِ فَحُبُّ شُغِلْتُ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشْفُكَ لِلْحُجُبِ حَتَّى أَرَاكَ
فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
ثُمَّ شَهَقَتْ شَهَقَةً فَإِذَا هِيَ قَدْ فَارَقَتْ الدُّنْيَا.

★ ★ ★

قَالَ ابْنُ قَاضِي مِيلَةَ:

لِدُنْيَاكَ نُورٌ وَلَكِنَّهُ ظِلَامٌ يَحَارُ بِهِ الْمُبْصِرُ
فَإِنْ عِشْتَ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا كَمَا قِيلَ قَنْطَرَةٌ تُعْبَرُ
فَلَا تَعْمُرَنَّ بِهَا مَنْزِلًا فَإِنَّ الْخَرَابَ لِمَا تَعْمُرُ
وَلَا تَذْخَرَنَّ خِلَافَ التَّقَى فَتَفْنَى وَيَبْقَى الَّذِي تَذْخَرُ

★ ★ ★

قَدْ شَبَّهَ بَعْضُهُمُ الدُّنْيَا بِخَيَالِ الظِّلِّ فَقَالَ:

رَأَيْتُ خَيَالَ الظِّلِّ أَغْظَمَ عِبْرَةً لِمَنْ كَانَ فِي عِلْمِ الْحَقَائِقِ رَاقِي
شُخُوصًا وَأَشْبَاحًا يُخَالِفُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ وَأَشْكَالًا يَغْيِرُ وَفَاقِ
تَجِيءُ وَتَمْضِي بَابَةً بَعْدَ بَابَةٍ وَتَفْنَى جَمِيعًا وَالْمُحَرِّكُ بَاقِ

★ ★ ★

وَقَالَ شَرَفُ بْنُ أَسَدٍ فِي مَعْنَاهُ:

يَا مَنْ تَمَلَّكَ مُلْكًا لَا بَقَاءَ لَهُ حَمَلْتُ نَفْسَكَ آثَامًا وَأَوْزَارًا
هَلِ الْحَيَاةُ بِذِي الدُّنْيَا وَإِنْ عَذُبَتْ إِلَّا كَطَيْفِ خَيَالٍ فِي الْكَرَى زَارًا

★ ★ ★

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

وَعَايَةُ هَذِي الدَّارِ لَذَّةُ سَاعَةٍ وَيَعْقِبُهَا الْأَحْزَانُ وَالْأَلَمُ وَالنَّدَمُ
وَهَاتِيكَ دَارُ الْأَمْنِ وَالْعِزِّ وَالْتَّقَى وَرَحْمَةُ رَبِّ النَّاسِ وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ

★ ★ ★

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ:

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا فَأَيْنَ الْمُعْظَمُ وَالْمُخْتَقَرُ
وَأَيْنَ الْمُدِلُّ بِسُلْطَانِهِ وَأَيْنَ الْمَذَكِّي إِذَا مَا افْتَحَرَ
فَنُودِيتُ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا أَرَى شُخُوصًا لَهُمْ وَلَا مِنْ أَثَرِ
تَفَانُوا جَمِيعًا فَلَا مُخْبِرَ وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبِرُ
فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنْاسٍ مَضَوْا أَمَا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرُ
تَرُوحُ وَتَغْدُو بَنَاتُ الثَّرَى وَتُمَحْيَ مَحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ

★ ★ ★

قَالَ سَابِقُ الْبَرَبْرِ وَأَجَادَ:

تَلْهُو وَتَأْمُلُ أَيَّامًا تُعَدُّ لَنَا سَرِيعَةً أَلَمَرُّ تَطْوِينًا وَنَطْوِيهَا
كَمْ مِنْ عَزِيزٍ سَيَلْقَى بَعْدَ عِزِّهِ ذُلًّا وَضَاحِكَةً يَوْمًا سُبْكِيهَا
وَلِلْحُشُوفِ تُرْبِي كُلُّ مُرْضِعَةٍ وَلِلْحِسَابِ بَرَى الْأَرْوَاحَ بَارِيهَا
لَا تَبْرَحُ النَّفْسُ تُنْعَى وَهِيَ سَالِمَةٌ حَتَّى يَقُومَ بِنَادِي الْقَوْمِ نَاعِيهَا
أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا وَدُورُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا

★ ★ ★

قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ:

لَيْتَ شِعْرِي لَيْتَ شِعْرِي
ضَاعَ عُمْرِي فِي اغْتِرَابٍ
وَمَتَى يَوْمٌ وَقَاتِي
لَيْسَ لِي فِي كُلِّ أَرْضٍ
بَعْدَ هَذَا لَيْتِي أَغْدِ
وَمَتَى أَخْلَصُ مِمَّا
وَلَقَدْ آنَ بِأَنْ أَضْ
أُتْرَى يُسْتَدْرَكُ الْفَا
أَيُّ أَرْضٍ هِيَ قُبْرِي
وَرَحِيلٌ مُسْتَمِرٌّ
لَيْتِي لَوْ كُنْتُ أُذْرِي
جِثَّتْهَا مِنْ مُسْتَقَرٍّ
رِفٌّ مَا آخِرُ عُمْرِي
أَنَا فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
حَوْ قَمَا لِي طَالَ سُكْرِي
رِطٌ مِنْ تَضْيِيعِ عُمْرِي

★ ★ ★

وَمَا أَجُودَ قَوْلَ ابْنِ أَبِي زَمَنِينَ:

الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكَفَنَا
لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا
أَيْنَ الْأَحْيَاءُ وَالْجِيرَانُ مَا فَعَلُوا
سَقَاهُمُ الْمَوْتُ كَأَسَا غَيْرَ صَافِيَةٍ
تَبْكِي الْمَنَازِلُ مِنْهُمْ كُلَّ مُنْجِمٍ
حَسْبُ الْحِمَامِ لَوْ أَبْقَاهُمْ وَأَمْهَلَهُمْ
وَتَحَنُّ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الْحَسَنَا
أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنَا
فَصَيَّرَتْهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنَا
بِالْمَكْرُمَاتِ وَتَرْتِي الْبِرِّ وَالْمِثْنَا
أَلَا يُظَنَّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنَا

★ ★ ★

دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ عَلَى أَبِي حَفْصٍ الشَّطْرَنْجِيَّ يَعُودُهُ فِي عَلَيْهِ الَّتِي
مَاتَ فِيهَا. فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ:

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ
فَكُنْ مُسْتَعِيدًا لِدَاعِي الْفَنَاءِ
الْسَّنَا نَرَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ
وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّيِّبِ
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ
وَتَادَتِكَ بِأَسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ
فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
سِ تَفْنَى وَتَبْقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
فَعَاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ

★ ★ ★

قَالَ حُرَيْثُ بْنُ جَبَلَةَ الْعُذْرِيُّ وَقِيلَ عَثِيرُ بْنُ لَيْدٍ الْعُذْرِيُّ:

يَا قَلْبُ إِنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَغْرُورُ
تُرِيدُ أَمْرًا فَمَا تَذَرِي أَعَاجِلُهُ
فَأَسْتَقْدِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَأَرْضَيْنَ بِهِ
وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطُ
حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوَقُّمُهُ
يَبْكِي الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ
فَاذْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعُنكَ الْيَوْمَ تَذْكِيرُ
خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
فَبَيْنَمَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
إِذْ صَارَ فِي الرَّمْسِ تَغْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
وَالْدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِهِ دَهَارِيرُ
وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ

★ ★ ★

قَالَ آخَرُ:

وَيَلِي إِذَا كَانَ الْجَحِيمُ جَزَائِي
يُؤْلِي الْعَذَابُ مَحَاسِنِي وَيَشِينُهَا
وَيَقُولُ لِي الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ
بَارَزْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي جَاهِلًا
وَتَرَى وَجُوهَ الطَّائِعِينَ كَأَنَّهَا
مَاذَا يَحِلُّ بِمُهْجَتِي وَبَهَائِي
وَيَطُولُ مِنِّي فِي الْجَحِيمِ بُكَائِي
يَا عَبْدَ سَوْءٍ أَنْتَ مِنْ أَعْدَائِي
وَتَسَيْتَ وَعَدَيْ مَا تَخَافُ لِقَائِي
بَذَرْتُ بَدَا فِي لَيْلَةٍ ظُلْمَاءِ

كَشَفُوا الْحِجَابَ فَشَاهَدُوهُ وَأَذْهَبُوا وَكُسُوا نَعِيمًا دَائِمًا بِضِيَاءِ

★ ★ ★

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ خَاتِمَةَ مُسْتَعِثًا بِهِ تَعَالَى:

يَا مَنْ يَغِيثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِمَا قَنَطُوا
عَوَذَتَهُمْ بَسْطَ أَرْزَاقٍ بِلا سَبَبٍ
وَعَدْتَ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرٍ
عَوَارِفُ ارْتَبَطَتْ شَمُّ الْأَنْوَفِ بِهَا
يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَأَعْتَرَفَتْ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
عَبْدٌ فَقِيرٌ بِبَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرٌ
مَهْمَا أَتَى لِيَمْدَ الْكَفِّ أَخْجَلَهُ
يَا وَاسِعًا ضَاقَ خَطْوُ الْخَلْقِ عَنْ نِعَمٍ
وَنَاشِرًا يَبْدِ الْأَجْمَالِ رَحْمَتُهُ
إِرْحَمْ عِبَادًا بِضْنِكَ الْعَيْشِ مَا لَهُمْ
لَكِنَّهُمْ مِنْ دُرَى عَلْيَاكَ فِي نَمَطٍ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى

إِرْحَمْ عِبَادًا أَكْفَ الْفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا
سِوَى جَمِيلِ رَجَاءِ نَحْوَهُ أَنْبَسَطُوا
بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ إِنْ قَسَطُوا
وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبِطُ
بِحِمِّ إِنْعَامِهِ الْأَطْرَافُ وَالْوَسَطُ
وَهُمْ يَجُوزُ عَلَيْهِ لَا وَلَا غَلَطُ
مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوَافِيَ حِينَ يَنْضَغِطُ
قَبَائِحَ وَخَطَايَا أَمْرُهَا فَرَطُ
مِنْهُ إِذَا خَطَبُوا فِي شُكْرِهَا خَبَطُوا
فَلَيْسَ يَلْحَقُ مِنْهُ مُسْرِفًا قَنَطُ
غَيْرِ الدُّجْنَةِ لُحْفٍ وَالْثَرَى بُسْطُ
سَامٍ رَفِيعِ الذَّرَى مَا فَوْقَهُ نَمَطُ
فَمَا يُبَالِي أَقَامَ الْحَيُّ أَمْ شَحَطُوا
وَكُلُّ شَيْءٍ يُرْجَى بَعْدَ ذَا شَطَطُ

★ ★ ★

قَالَ آخَرُ:

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا
لَمَّا عَلَانِي لِلْمَشِيبِ قِنَاعُ

لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَأَهْلُهُ
فَدَعَ الصَّبَا يَا قَلْبُ وَآلَهُ عَنِ الْهَوَى
وَأَنْظَرُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ مُودَعٍ
وَالْحَادِثَاتُ مُوَكَّلَاتُ بِالْفَتَى

★ ★ ★

قَالَ بَشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ:

تَعَاْفُ الْقَذَى فِي الْمَاءِ لَا تَسْتَطِيعُهُ
وَتُؤَثِّرُ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ الْذَّةُ
وَتَكْرَعُ فِي حَوْضِ الذُّنُوبِ فَتَشْرَبُ
وَلَا تَذْكُرُ الْمِسْكِينَ مِنْ أَيْنَ يَكْسِبُ

★ ★ ★

وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ:

أَيُّهَا الطَّالِبُ أَجْمِلْ وَاقْتَصِدْ
لَا يَزِيدُ الْحِرْصُ مِنْ رِزْقٍ وَلَا
فَاتَّعِظْ وَاسْمَعْ لِمَا أَنْتَ لَهُ
إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ زَائِلٌ
وَأَرْخِ نَفْسَكَ مِنْ جُهْدٍ وَكَدٍ
يُنْقِصُ الْإِخْمَالَ مِنْ رِزْقٍ أَحَدٍ
وَتَزَوِّدُ زَادَكَ الْيَوْمَ لِفَدٍ
عَنْ قَلِيلٍ وَإِلَى اللَّهِ الْمَرَدُ

★ ★ ★

وَقَالَ بَشَارُ بْنُ بَرْدٍ:

بَدَا لِي أَنَّ الدَّهْرَ يَقْدَحُ فِي الصَّفَا
فَعِشْ خَائِفًا لِلْمَوْتِ أَوْ غَيْرَ خَائِفٍ
خَلِيلُكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلِ التَّقَى
وَأَنْ بَقَائِي إِنْ حَيَّيْتُ قَلِيلُ
عَلَى كُلِّ نَفْسٍ لِلْحِمَامِ^(١) دَلِيلُ
وَلَيْسَ لِأَيَّامِ الْمُنُونِ^(٢) خَلِيلُ

★ ★ ★

(١) الحِمَام: الموت.

(٢) المنون: الموت.

وَقَالَ:

لَعَلَّكَ تَرْجُو أَنْ تَعِيشَ مُخَلَّدًا أَبِي ذَاكَ شُبَّانٌ لَنَا وَكُھُولُ
وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ قِصَارٌ إِذَا سَرَتْ بِخَيْرٍ وَيَوْمُ الْحَزَنِ مِنْهُ طَوِيلُ

★ ★ ★

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَطِيرٍ:

وَمَا الْجُودُ مِنْ فَقْرِ الرِّجَالِ وَلَا الْغِنَى وَلَكِنَّ ذَا خِيَمِ الرِّجَالِ وَخَيْرُهَا
فَكَمْ طَامِعٍ فِي حَاجَةٍ لَنْ يَنَالَهَا وَكَمْ يَأْسٍ مِنْهَا أَتَاهُ بِشِيرُهَا
وَنَفْسَكَ أَكْرِمَ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَمَا لَكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا
فَمَنْ يَتَّبِعْ مَا يُعْجِبُ النَّفْسَ لَمْ يَزَلْ مُطِيعًا لَهَا فِي فَعْلٍ شَيْءٍ يَضِيرُهَا
وَلَا تَقْرُبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ حَلَاوْتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيرُهَا
وَلَا تُلْهِكَ الدُّنْيَا عَنِ الْحَقِّ وَاعْتَمِدْ لِآخِرَةٍ لَا بَدَّ أَنْ سَتَصِيرُهَا

★ ★ ★

وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيَّ:

وَقَبْلَكَ دَاوَى الطَّيِّبُ الْمَرِيضَ فَعَاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
فَكُنْ مُسْتَعِيدًا لِإِدَارِ الْفَنَاءِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ

★ ★ ★

وَقَالَ الْعَتَابِيُّ (كَلْثُومُ بْنُ عَمْرٍو):

حَتَّى مَتَى أَنَا فِي حِلٍّ وَتَرْحَالِ وَطَوَّلِ شُغْلٍ بِإِذْبَارِ وَإِقْبَالِ

بِمَشْرِقِ الْأَرْضِ طَوْرًا ثُمَّ مَغْرِبِهَا
وَنَازِحِ الدَّارِ مَا أَنْفَكَ مُغْتَرِبًا
وَلَوْ قَنَعْتُ أَتَانِي الرِّزْقُ فِي دَعَا
لَا يَخْطُرُ الْمَوْتُ مِنْ حِرْصٍ عَلَى بَالِي
عَنِ الْأَحْيَةِ مَا يَذَرُونَ مَا حَالِي
إِنَّ الْقَنُوعَ الْغِنَى لَا كَثْرَةَ الْمَالِ

★ ★ ★

وقالت ميمونة السوداء :

وَلَيْسَ لِلْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ
بَاتٌ مِنَ الْأَهْلِ عَلَى قُرْبِهِ
فِطْرٌ وَلَا أَضْحَى وَلَا عَشْرٌ
كَذَاكَ مَنْ مَسَكْنَهُ الْقَبْرُ

★ ★ ★

وقال الإمام علي الرضا :

لَا تَحْرَصَنَّ فَالْحِرْصُ يُزْرِي بِالْفَتَى
وَالْحِظُّ لَا تَجْلِبُهُ حِيلَةٌ
مَا فَاتَكَ الْيَوْمَ سَيَأْتِي غَدًا
وَالرِّزْقُ مَضْمُونٌ عَلَى وَاحِدٍ
قَدْ يُرْزَقُ الْعَاجِزُ مَعَ عَجْزِهِ
لَا تَنْهَرِ الْمِسْكِينَ يَوْمًا أَتَى
إِنْ عَضَّكَ الدَّهْرُ فَكُنْ صَابِرًا
أَوْ مَسَّكَ الضَّرُّ فَلَا تَشْتَكِي
وَأَقْنَعْ بِمَا أَعْطَاكَ مِنْ فَضْلِهِ
وَيُذْهِبُ الرَّوْنَقَ عَنْ بَهْجَتِهِ
كَيْفَ يَخَافُ الْمَرْءُ مِنْ فَقْرَتِهِ
مَا فِي الَّذِي قُدِّرَ مِنْ حِيلَتِهِ
مَفَاتِيحُ الْأَشْيَاءِ فِي قَبْضَتِهِ
وَيُخْرِمُ الْكَيْسُ^(١) مَعَ فِطْنَتِهِ
فَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ عَنْ نَهْرَتِهِ
عَلَى الَّذِي فَاتَكَ مِنْ عَضَّتِهِ
إِلَّا لِمَنْ تَطْمَعُ فِي رَحْمَتِهِ
وَاشْكُرْ لِمَوْلَاكَ عَلَى نِعْمَتِهِ

★ ★ ★

(١) الكَيْسُ : الذَّكِي.

وقال منصور التميمي:

ألا إنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَيْسَ يَفْـُوتُ فلا ترعَنُ إنَّ القليلَ يَفْـُوتُ
رَضِيتُ بقسَمِ اللَّهِ حَظًّا لأنَّه تكفَّلَ رزقي مَنْ لَهُ المَلَكُوتُ
سَأقْنَعُ بالمالِ القليلِ لأنَّني رأيتُ أخا المالِ الكثيرِ يَمُوتُ

★ ★ ★

وقال:

مَنْ كَفَاهُ مِنْ مَسَاعِيهِ رَغِيفٌ يَغْتَذِيهِ
وَلَهُ بَيْتٌ يُوَارِيهِ وَثُوبٌ يَكْتَسِيهِ
فَلَمَّاذَا يَبْذُلُ الْعِرْضَ لِنَذْلٍ أَوْ سَفِيهِ
كُلُّ مَالٍ مَنَعْتُهُ السَّيْرَ أَيْدِي بَاذِلِيهِ
فَهُوَ لِلْـوَارِثِ وَالْـوَزْرِ عَلَى مُكْتَسَبِيهِ

★ ★ ★

وقال أحمد بن يوسف:

ما بَعْدَ شَيْبِكَ غَيْرُ لَوْمِكَ فَاتَّخِذْ زَادًا لِنَفْسِكَ فَالرَّحِيلُ قَرِيبُ
ما هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارِ إِقَامَةٍ لا توطِّنَنَّ بها وَأَنْتَ غَرِيبُ
أَيْنَ الْأُولَى أَهْلُ السِّيَادَةِ وَالنَّهْيِ وَالْمُطْعِمُونَ وَمَا تَدُرُّ حَلُوبُ
أَخْنَى الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ بِشَعَارِهِ وَسَقَتُهُمْ كَأْسَ الْمَنُونِ شَعُوبُ^(١)

(١) شعوب: اسم للمنية.

وَعِدًا جِزَاءَ سَعَادَةٍ أَوْ شِقْوَةٍ أَفَلَا يُنِيبُ إِلَى الرَّشَادِ مُنِيبُ
وَالْمَوْتُ يَغْتَالُ النَّفْسَ وَلَمْ يَزَلْ لِلْمَوْتِ دَاعٍ لِلنَّفْسِ طَلُوبُ

★ ★ ★

وقال ابن الرومي:

حَتَّى مَتَى نَشْتَرِي الدُّنْيَا بِآخِرَةٍ سَفَاهَةً وَنَبِيعُ الْفَوْقِ بِالْأَدُونِ
مُعَلِّلِينَ بِأَمْوَالٍ تُخَادِعُنَا وَزُخْرُفٍ مِنْ غُرُورِ الْعِيشِ مَوْهُونِ

★ ★ ★

وقال أبو عقاب بن علوان:

أَجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ لَا تَعْصِهِ فَقَدْ جَادَ بِالنُّصْحِ جَهْرًا وَنَادَى
وَلَا تَلْهَ بِالْمُؤِيقَاتِ الَّتِي أَبَادَتْ بِوَائِقِهَا مَنْ تَمَادَى
رَضِيتُ بِدُونِ الْكِفَايَةِ قُوتًا وَبِاللَّهِ عَنْ كُلِّ خَلْقٍ عِمَادَا
فَأُضْحَى الْمُلُوكُ وَأَهْلُ النَّعِيمِ أَقَلَّ الْبَرِّيَّةِ عِنْدِي عِدَادَا
وَأَسْقَطْتُ لَوْمِي عَنِ الْعَالَمِينَ فَمَنْ شَاءَ وَدَّ وَمَنْ شَاءَ عَادَى
فَلَمْ أَرَ عَبَثًا كَعِيشِ الْقَنُوعِ وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْقَنُوعِ مُرَادَا

★ ★ ★

وقال بكر بن حماد:

النَّاسُ حِرْصٌ عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ فَسَدَتْ فَصَفَوْهَا لَكَ مَمْزُوجَ بَتَكْدِيرِ
فَمِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا لَا تَسَاعِدُهُ وَعَاجِزٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرِ

لَمْ يُدْرِكُوهَا بِعَقْلِ عِنْدَمَا قَسَمْتُ وَإِنَّمَا أَدْرَكُوهَا بِالْمَقَادِيرِ
لَوْ كَانَ عَنْ قَدَرٍ أَوْ عَنْ مُغَالَبَةٍ طَارَ الْبُزَاةُ بِأَرْزَاقِ الْعَصَافِيرِ

★ ★ ★

وقال سريح بن يوسف:

يَا طَالِبَ الرِّزْقِ فِي الْآفَاقِ مُجْتَهِدًا أَبْقَيْتَ نَفْسَكَ حَتَّى شَفَّكَ التَّعَبُ
تَسْعَى لِرِزْقٍ كَفَّاكَ اللَّهُ مُؤَنَّتَهُ أَقْصِرْ فَرِزْقُكَ لَا يَأْتِي بِهِ الطَّلَبُ
فَاسْتَرْزِقِ اللَّهَ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ فَاللَّهُ يَرْزُقُ لَا عَقْلٌ وَلَا حَسَبُ

★ ★ ★

وقال ابن بسام:

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا لَمَّا عَلَانِي لِلْمَشِيبِ قِنَاعُ
فَدَعَ الصَّبَا يَا قَلْبُ وَاسْلُ عَنْ الْهَوَى مَا مِنْكَ بَعْدَ مَشِيكِكَ اسْتِمْتَاعُ
وَانْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ مُودَعٍ فَلَقَدْ دَنَا سَقَرٌ وَحَانَ وَدَاعُ
وَالْحَادِثَاتُ مُوَكَّلَاتُ بِالْفَتَى وَالنَّاسُ بَعْدَ الْحَادِثَاتِ سَمَاعُ

★ ★ ★

وقال ابن أبي الدنيا (عبدالله بن محمد):

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ يَأْتِي بِحِيلَةٍ فَقَدْ كَذَّبَتْهُ نَفْسُهُ وَهُوَ آثِمُ
يَفُوتُ الْغِنَى مِنْ لَا يَنَامُ عَنِ السُّرَى وَآخِرُ يَأْتِي رِزْقُهُ وَهُوَ نَائِمُ

سَأَصْبِرُ إِنْ دَهَرَ أَنَاخَ بَكَلْكَلٍ وَأَرْضَى بِحُكْمِ اللَّهِ فَاللَّهُ حَاكِمُ

★ ★ ★

وقال أبو نصر بشر بن الحارث الحافي:

أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَرَضِخُ النَّوَى^(١) وَشَرِبُ مَاءِ الْأَعْيُنِ الْمَالِحَةِ
أَعَزُّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ حِرْصِهِ وَمِنْ سُؤَالِ الْأَوْجِهِ الْكَالِحَةِ
فَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ تَكُنْ ذَا غِنَى مُغْتَبِطاً بِالصَّفْقَةِ الرَّابِحَةِ
مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِهِ بَرَّةً فَإِنَّهَا يَوْمًا لَهُ ذَابِحَةٌ

★ ★ ★

وقال كشاجم:

وَمُسْتَزِيدٍ فِي طِلَابِ الْغِنَى يَجْمَعُ لَحْمًا مَا لَهُ طَابِخُ
ضَيِّعَ أَمْوَالًا بِمَا يَرْتَجِي وَالنَّارُ قَدْ يُطْفِئُهَا النَّافِخُ

★ ★ ★

وقال حرب بن المنذر:

فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا كَفَافٌ يُقِيمُنِي وَأَثْوَابُ كِتَانٍ أَزُورُ بِهَا قَبْرِي
وَحُبِّي ذَوِي قُرْبَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَمَا سُؤْلُنَا إِلَّا الْمَوَدَّةُ مِنْ أَجْرِ

★ ★ ★

وقال الفارابي:

أَخِي خَلَّ حَيَزَ ذِي بَاطِلٍ وَكُنْ لِلْحَقَائِقِ فِي حَيَزٍ

(١) رَضِخُ النَّوَى: كَثُرَ بَزَرَاتِ الثَّمَرِ، وَأَكْلَهَا.

فَمَا الدَّارُ دَارُ خُلُودٍ لَنَا وَلَا الْمَرْءُ فِي الْأَرْضِ بِالمُعْجَزِ
وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا خُطُوطٌ وَقَعْنَ عَلَى كُرَّةٍ وَقَعَ مُسْتَوْفِرِ
يَنَافِسُ هَذَا لِذَاكَ عَلَى أَقْلٍ مِنَ الْكَلِمِ المَوْجَزِ
مُحِيطُ السَّمَوَاتِ أَوْلَى بِنَا فَفِيمَ التَّزَاحُمِ فِي المَرْكَزِ

★ ★ ★

وقال ابن أبي زندقة:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطُنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
فَكَّرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطْنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُنُنَا

★ ★ ★

وقال بعضهم:

إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ
يَا رَبِّ أَسْرَفْتُ فِي ذَنْبِي وَمَعْصِيَتِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا سُوءَ آثَارِي
فَاغْفِرْ ذُنُوبًا، إِلَهِي، قَدْ أَحْطَتَ بِهَا رَبِّ الْعِبَادِ، وَزَحْزَحْنِي عَنِ النَّارِ

★ ★ ★

وقال عمر الأنسي:

رَغِبْتُ عَنِ الدُّنْيَا وَزَخْرَفِ أَهْلِهَا وَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّمَا الْعِيشُ فِي الْآخِرَى

فَدَعْنِي وَزُهْدِي فِي الْحَطَامِ فَإِنِّي أَرَى الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا هُوَ الرَّاحَةُ الْكُبْرَى

★ ★ ★

وقال ابن عفيف الدمشقي:

تَتَّبِعْ يَا فَتَى طُرُقَ السَّعَادَةِ	فَتَلَكَ إِذَا وَصَلْتَ هِيَ السَّعَادَةُ
وَجَنَّبْ نَفْسَكَ الشُّبُهَاتِ وَأَصْبِرْ	وَفِي مَا حَلَّ فَالزَّمَهَا الزُّهَادَةُ
وَحُبِّ اللَّهِ آثِرَهُ وَأَخْسِنْ	وَقُمْ بِالْوَاجِبَاتِ مِنَ الْعِبَادَةِ
وَعَظِّمْ أَمْرَهُ تَعْظِيمَ عَبْدٍ	تَيَقَّنْ رَحْلَةً فَأَعِدْ زَادَهُ
وَلَا تَفْرَحْ بِمَا أُوتِيَتْ وَأَنْدَمْ	عَلَى التَّفْرِيطِ عَنْ طَلَبِ السَّعَادَةِ
تَجَنَّبْ مَا نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهُ	وَمَا يَعْنِيكَ لَا تَهْدَمْ مُشَادَةَ
تَصَوَّرْ بَعْدَ مَوْتِكَ مَا تُلَاقِي	فَبَدِي الْأَمْرِ تَمَكُّنُهُ الْإِعَادَةُ
وَجَنَّبْ نَفْسَكَ الدُّنْيَا فَمَنْ لَمْ	يُحَازِرْهَا فَقَدْ مَلَكَتْ قِيَادَهُ
وَمَهْمَا أَذْنَتْ بِصِلَاحِ أَمْرِ	تَرَاهُ صَالِحاً فَاخْذَرْ فُسَادَهُ
وَرَجَّ الْخَيْرَ فِي الْأَحْوَالِ إِلَّا	لِذِي ذَنْبٍ فَخَفَ وَأَقْدَحَ زِنَادَهُ
وَمَهْمَا أَمَكَّتْكَ خِصَالُ خَيْرٍ	فَأَثَرُهَا تَفَزَّ وَحَزَّ الْإِجَادَةُ

★ ★ ★

وقال محمد الكواكبي:

حَتَّامٌ فِي لَيْلِ الْهُمُومِ	زِنَادٌ فِكْرِكَ تَقْتَدِخُ
قَلْبٌ تَحْرَقُ بِالْأَسَى	وَدُمُوعُ عَيْنٍ تَسْفِخُ

إِرْفَقْ بِنَفْسِكَ وَاعْتَصِمْ	بِحِمَى الْمُهَيِّمِ تَشْرِخْ
وَأَضْرَعْ لَهُ إِنْ ضَاقَ	عَنْكَ خَنَاقُ حَالِكَ تَنْفَسِخْ
مَا أَمَّ سَاحَةَ جُودِهِ	ذُو مِخْنَةِ إِلَّا مُنِخْ
أَوْ جَاءَهُ ذُو الْمُعْضِلَاتِ	بِمُغْلَقٍ إِلَّا فُتِخْ
فَدَعِ الْهَوَى وَانْهَجْ عَلَى	نَهْجِ السَّوِيِّ الْمَتَّضِخْ
وَاسْمَعْ مَقَالََةَ نَاصِحٍ	إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَنْتَصِخْ
مَا تَمَّ إِلَّا مَا يُرِيدُ	فَدَعْ مُرَادَكَ وَاطَّرِخْ
وَاتْرُكْ وَسَاوِسَكَ الَّتِي	شَغَلَتْ فَوَادَكَ تَسْتَرِخْ

★ ★ ★

وقال إسماعيل صبري:

يَا رَبَّ أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جَهَنَّمُ	لِلظَّالِمِينَ غَدَاً وَلِلْأَشْرَارِ
لَمْ يُبْقِ عَفْوُكَ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى	وَالْأَرْضِ شِبْرًا خَالِيًا لِلنَّارِ
يَا رَبَّ أَهْلَنِي لِفَضْلِكَ وَاكْفِنِي	شَطَطَ الْعُقُولِ وَفِتْنَةَ الْأَفْكَارِ
يَا عَالِمَ الْأَسْرَارِ حَسْبِي مِخْنَةُ	عِلْمِي بِأَنَّكَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ
أَخْلَقَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي تَسَعُ الْوَرَى	أَنْ لَا تَضِيقَ بِأَعْظَمِ الْأَوْزَارِ

★ ★ ★

وقال حمزة الملك:

مَوْلَايَ قَدْ نَامَتْ عَيُونُ	وَتَقَطَّتْ أَيْضاً عَيُونُ
نَامَتْ عَيُونُ الْخَائِنِينَ	وَعَيْنُ نَجْمِكَ لَا تَخُونُ

تَرْنُو إِلَيْنَا وَهِيَ سَاهِيَةٌ عَنْ الدُّنْيَا الْخَوُّونُ
أَتُرَاهُ أَذْهَلَهَا جَلَالُ اللَّهِ أَمْ مَرُّ الْقُرُونِ
أَمْ أَنَّ مَنْ فَوْقَ الثَّرَى لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَعُونَ

يا وَيْحَ نَفْسِي وَهِيَ تَرْسَفُ فِي سَجُونٍ آمَنْتُ أَنَّ الْفَرْدَ فَوْقَ الْأَرْضِ أَحَقُّ مَا يَكُونُ
مَوْلَايَ لَوْ خَيْرَتَنِّي لَا خَيْرَتُ أَنْسِي لَا أَكُونُ

★ ★ ★

وقال جبلة بن حريث العذري:

يا قَلْبُ إِنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَغْرُورُ فَادْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ تَذْكِيرُ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِيهَا مُدْنَفٌ وَلِيَّةُ لَا يَسْتَفِزُّنَكَ مِنْهَا الْبَدْرُ وَالْحُورُ
قَدْ بُحْتُ بِالْجَهْلِ لَا تُخْفِيهِ عَنْ أَحَدٍ حَتَّى جَرَتْ بِكَ أَطْلَاقُ مُحَاضِيرُ
تُرِيدُ أَمْرًا فَمَا تَدْرِي أَعَاجِلُهُ خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَارْضَيْنَ بِهِ فَيَنْمَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مِيسِيرُ
وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطًا إِذْ صَارَ فِي الرَّمَسِ تَعْفُوهُ^(١) الْأَعَاصِيرُ
حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهَمُهُ وَالْدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِيهِ دَهَارِيرُ
يَبْكِي الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ

(١) تعفوه: تمحوه.

فَذَاكَ آخِرُ عَهْدٍ مِنْ أَخِيكَ إِذَا مَا ضُمَّتْ شِلْوُهُ اللَّحْدُ الْمُحَافِيرُ^(١)

★ ★ ★

وقال لبيد بن ربيعة:

بَلِينَا وَمَا تَبْلَى النُّجُومُ الطُّوَالُ وَتَبَقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ^(٢)
وَمَا الْمَرَّةُ إِلَّا كَالْهَلَالِ وَضَوَائِهِ يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ^(٣)
أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لُزُومُ الْعَصَا تُخْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ
أَخْبِرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ أَدَبٌ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ
فَلَا تَبْعِدَنَّ إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَوْعِدٌ عَلَيْنَا فِدَانٍ لِلطَّلُوعِ وَطَالِعُ
لَعَمْرُكَ مَا تَذْرِي الضَّوَارِبُ بِالْحَصَى وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ^(٤)

★ ★ ★

وقال سعدون المجنون يخاطب الرشيد:

هَبِ الدُّنْيَا تُوَاتِيكَ أَلَيْسَ الْمَوْتُ يَأْتِيكَ
فَمَا تَصْنَعُ بِالدُّنْيَا وَظِلُّ الْمِيلِ يَكْفِيكَ
أَلَا يَا طَالِبَ الدُّنْيَا دَعِ الدُّنْيَا لِشَانِيكَ
كَمَا أَضْحَكَكَ الدَّهْرُ كَذَاكَ الدَّهْرُ يُبْكِيكَ

★ ★ ★

(١) الشَّلْوُ: العضو. اللَّحْدُ: جمع لحد، وهو القبر. الْمُحَافِيرُ: المحفورة.

(٢) المصانع: الدور.

(٣) يحور: يصبح.

(٤) الضَّوَارِبُ بِالْحَصَى: اللواتي يدعين معرفة المستقبل. وكذلك زاجرات الطير.

وقال الطرماح:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةً العُمُرِ وَمُودٍ إِذَا انْقَضَى عَدَدُهُ^(١)
عَجَبًا مَا عَجِبْتُ مِنْ جَامِعِ الْمَالِ يُبَاهِي بِهِ وَيَرْتَفِدُهُ^(٢)
وَيَضِيعُ الَّذِي يُصَيِّرُهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَلَيْسَ يَغْتَقِدُهُ
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْمَخُولَ ذَا الثَّرْوَةِ خِلَانُهُ وَلَا وَلَدُهُ^(٣)
ثُمَّ يُؤْتَى بِهِ وَخَصْمَاهُ وَسَطَ السَّجْنِ وَالْإِنْسُ رِجْلُهُ وَيَدُهُ
خَاشِعَ الطَّرْفِ لَيْسَ يَنْفَعُهُ ثُمَّ أَمَانِيهِ وَلَا لَدَدُهُ^(٤)

★ ★ ★

وقال أحمد بن أبي سليمان:

يَا لَذَّةَ قَصُورَتِ وَطَالَ بَلَاؤُهَا عِنْدَ التَّذَكُّرِ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
لَمَّا تَذَكَّرَهَا وَقَالَ نَدَامَةٌ مِنْ بَعْدِهَا يَا لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلِ

★ ★ ★

وقال:

أَرَانِي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْمَالِ زَاهِدًا وَفِي شَرَفِ الدُّنْيَا وَفِي الْعِزِّ أَزْهَدًا
تَخَلَّيْتُ عَنْ دُنْيَايَ إِلَّا ثَلَاثَةً دَفَاتِيرَ مِنْ عِلْمٍ وَبَيْتًا وَمَسْجِدًا

(١) مود: مانت.

(٢) يرتفده: يكتسبه.

(٣) المخول: المخدوم.

(٤) خاشع الطرف: منكراً ذليلاً. ثم: هناك. اللدد: شدة الخصومة.

غَنِيَتْ بِهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَوِيَّتُهُ وَكُنْتُ بِهَا أَغْنَى وَأَقْنَى وَأُسْعِدَا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ مُشْرِفٍ يَبِيتُ مُقِرًّا بِالضَّلَالَةِ مُجْهَدَا
فَجَعَتْهُ الْمَنَايَا وَهُوَ فِي حِينِ غَفْلَةٍ فَأَضْحَى ذَلِيلًا فِي التُّرَابِ مُوسَّدَا

★ ★ ★

زهد النعمان بن امرئ القيس

إِنَّ النَّعْمَانَ بْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْأَكْبَرَ الَّذِي بَنَى الْخَوْرَنَقَ وَالسَّدِيرَ أَشْرَفَ
عَلَى الْخَوْرَنَقِ يَوْمًا فَأَعْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ الْمُلْكِ وَالسَّعَةِ وَتُفُوزِ الْأَمْرِ وَإِقْبَالِ
الْوُجُوهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُ. فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنْ
حُكَمَاءِ أَصْحَابِهِ: هَذَا الَّذِي أُوتِيتَ شَيْءٌ لَمْ يَزُلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ
قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ. قَالَ: بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ لَذَّتُهُ وَتَبَقَّى
تَبِيعَتُهُ. قَالَ: فَأَيْنَ الْمَهْرَبُ. قَالَ: إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْ تَلْبَسَ أُمْسَاحًا
وَتَلْحَقَ بِجَبَلٍ تَعْبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وَتَفِرُّ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيكَ أَجْلُكَ. قَالَ: فَإِذَا
فَعَلْتُ ذَلِكَ فَمَا لِي. قَالَ: حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ، وَشَبَابٌ لَا يَهْرَمُ، وَصِحَّةٌ لَا تَسْقَمُ،
وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى. قَالَ: فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا يَفْنَى وَاللَّهِ لَا أَطْلُبَنَّ عَيْشًا لَا يَزُولُ
أَبَدًا. فَأَنْخَلَعَ مِنْ مُلْكِهِ وَلَبَسَ الْأُمْسَاحَ وَسَاحَ فِي الْأَرْضِ. وَتَبِعَهُ الْحَكِيمُ وَجَعَلَا
يُسَبِّحَانِ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى مَاتَا. وَفِيهِ يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ:

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوْرَنَقِ إِذْ أَشْهُرَ حَرَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفَكِيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُدُّ لِكَ وَالْبَحْرِ مُغْرِضًا وَالسَّدِيرُ

فَارْعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا غِيْبَ طَةً حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالنَّعْ مَةٍ وَارْتَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ م فَالْوَتُ بِهِ الصَّبَا وَالْدَّبُورُ^(١)

★ ★ ★

زوال الدنيا

(مِنَ الْمُنْهَجِ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ . وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ
أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِإِطْلَاعٍ . أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ . وَغَدَا السَّبَاقُ ، وَالسُّبْقَةُ الْجَنَّةُ
وَالْغَايَةُ النَّارُ . أَفَلَا تَأْتِبَ مِنْ خَطِيئَتِهِ : قَبْلَ مَنِيَّتِهِ . أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ
بُؤْسِهِ . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ
حُصُولِ أَجَلِهِ ، نَفَعَهُ عَمَلُهُ . وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ
حُصُولِ أَجَلِهِ ، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ ، وَضُرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا
تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ . أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا ، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا .
أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى يَجْذِبُهُ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ وَدَلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ . وَإِنَّ أَخَوْفَ
مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ . تَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا
تُحْرَزُونَ بِهِ أَنْفُسُكُمْ غَدًا .

★ ★ ★

(١) الصَّبَا والدَّبُور : ريحان .

(عَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ) قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: يَا نَوْفُ أَرَأَيْدُ أَنْتَ أُمُّ رَامِقٍ. قُلْتُ: بَلَى رَامِقٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: يَا نَوْفُ طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِغِينَ فِي الْآخِرَةِ. أُولَئِكَ قَوْمٌ آتَخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطًا، وَتَرَابَهَا فِرَاشًا، وَمَاءَهَا طَبِيبًا وَالَّذِينَ شِعَارًا، وَالِدُعَاءَ دِثَارًا.

(لبهاء الدين)



الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

قَالَ الشَّيْخُ عُمَرُ: مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُوَانَسَةً. فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ. فَقَالَ: أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ. وَاللَّفَ نِظَامَهُ بِحِكْمَتِهِ. وَفَاقَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ. لَا تَبْلُغُ الْأَلْسُنُ وَصْفَ قُدْرَتِهِ. وَلَا الْعُقُولُ لُجَّ رَحْمَتِهِ. لَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا نَتَقَلَّبُ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي صَحَّتْ بِهَا الْأَبْصَارُ. وَرَعَتْ بِهَا الْأَسْمَاعُ. وَنَطَقَتْ بِهَا الْأَلْسُنُ. وَسَكَنْتْ بِهَا الْعُرُوقُ. وَامْتَزَجَتْ بِهَا الطَّبَائِعُ. فَقُلْتُ: يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ. فَقَالَ: خَوْفُ اللَّهِ. فَقُلْتُ: وَمَا أَكْمَلُ الْعَقْلِ. قَالَ: مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ. قُلْتُ: مَا يُعِينُ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنَ الدُّنْيَا. قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ انْقِضَاءَ أَمَلِكَ. فَقُلْتُ: وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَقَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ. فَقَالَ: لِأَحْسِنَ هَذَا السَّبْعَ عَنْ النَّاسِ (وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ). قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ. قَالَ: مِنْ تَذْيِيرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّحِينَ. قُلْتُ: لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا

وَتُخَالِطُنَا. فَقَالَ. لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُؤَبِّقَةَ بِأَسْرِهَا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْوَحْدَةِ. قُلْتُ: وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ. فَقَالَ: لَوْ دُفِّتَ حَلَاوَةُ الْوَحْدَةِ لَأَسْتَوْحَشْتَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ. قُلْتُ: كَيْفَ لَيْسْتَ أَسْوَادًا. فَقَالَ: لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَآتَمٍ وَأَهْلُهَا فِي حِدَادٍ. وَإِذَا حَزِنْتُ لَيْسْتُ أَسْوَادًا. فَقُلْتُ: كَيْفَ تَذْكُرُ الْمَوْتَ. فَقَالَ: مَا أَطْرِفُ طَرْفَةً عَيْنٍ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي مُتٌ. قُلْتُ: مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ. فَقَالَ: لِأَنَّكُمْ عَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ. فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ النُّقْلَةَ مِنَ الْعُمُرَانِ إِلَى الْخَرَابِ. قُلْتُ: يَا رَاهِبُ عِظْنِي. فَقَالَ: أَبْلُغِ الصِّفَاتِ النَّظْرُ إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ. وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْآجَلَاتِ. وَإِنْ شَبِعْتَ جَنَازَةً فَكُنْ كَأَنَّكَ الْمَحْمُولُ مِثْلَ ذَلِكَ. وَلَا تَنْسَ مَنْ لَا يَنْسَاكَ. وَأَحْسِنْ سَرِيرَتَكَ يُحْسِنْ اللَّهُ عَلَانِيَتَكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ. وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَاطْلُبِ الْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِلتَّبَاهِي أَوْ تُمَارِي بِهِ السُّفَهَاءَ. وَإِيَّاكَ وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُؤَبِّقَةٌ، وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَهْلِ، وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِمَّنْ يَمْدَحُ الْحَسَنَاتِ فَيَتَجَنَّبُهَا وَيَذُمُّ السَّيِّئَاتِ فَيَرْتَكِبُهَا. وَلَا تَشْرَبِ الْمُسْكِرَ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةً. وَعَاقِبَتَهُ نَدَامَةً. وَلَا تُجَالِسْ مَنْ يُشْغِلُكَ بِالْكَلَامِ وَيُزَيِّنُ لَكَ الْخَطَأَ وَيُوقِعُكَ فِي هَذِهِ الْغُيُومِ. وَيَتَبَرَّأَ مِنْكَ وَيَنْقَلِبُ عَلَيْكَ. وَلَا تَتَشَبَّهْ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْعُظَمَاءِ وَلَا فِي مَشِيكَ بِالْجَبَابِرَةِ. وَكُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ. وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ شَرُّهُ. وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ ابْتَلَاهُ. وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَإِذَا أَعْتَلَّتْ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ. وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ فِي الْقُلُوبِ الصُّغَائِنَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ

الْمُحِبِّينَ. وَانْظُرْ مَا اسْتَحْسَنْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَاَمْتَثِلْهُ لِنَفْسِكَ. وَمَا اُنْكَرْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ
فَتَجَنَّبْهُ. وَارْضَ لِلنَّاسِ مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ. فَإِنَّهُ كَمَالُ الْوِصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي
الدِّينِ وَالدُّنْيَا. وَقَالَ: إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ لِلَّهِ وَأَقْرِي عَلَيْكَ السَّلَامَ.

حدّ الزهد

قِيلَ لِلزُّهْرِيِّ مَا الزُّهْدُ. قَالَ: أَمَا أَنَّهُ لَيْسَ تَشْعِيبُ اللَّمَّةِ وَلَا قَشْفُ الْهَيْئَةِ. وَلَكِنَّهُ صَرْفُ النَّفْسِ عَنِ الشَّهْوَةِ. وَقِيلَ لِآخَرٍ: مَا الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: أَنْ لَا يَغْلِبَ الْحَرَامُ صَبْرَكَ. وَلَا الْحَلَالُ شُكْرَكَ. وَقِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ: مَنْ أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا. قَالَ: مَنْ لَا يَبَالِي بِبَيْدِ مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا. وَقِيلَ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ: مَنْ أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا. قَالَ: مَنْ لَمْ يَطْلُبِ الْمَفْقُودَ حَتَّى يَفْقِدَ الْمَوْجُودَ.



ذلة الدنيا

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمَالِحِ كُلَّمَا أَزْدَادَ صَاحِبُهُ شُرْبًا أَزْدَادَ عَطَشًا. وَكَالْكَأْسِ مِنَ الْعَسَلِ فِي أَسْفَلِهِ السَّمُّ فَلِلذَّائِقِ مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ وَفِي أَسْفَلِهِ الْمَوْتُ الزَّعَافُ. وَكَأَحْلَامِ النَّائِمِ الَّتِي تُفْرِحُهُ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ

أَنْقَطَعَ الْفَرْحُ. وَكَالْبَرْقِ الَّذِي يُضِيءُ قَلِيلًا وَيَذْهَبُ وَشِيكًا وَيَبْقَى رَاجِيَهُ فِي
الظَّلَامِ مُقِيمًا. وَكَدُودَةِ الْإِبْرِيسِمِ الَّتِي لَا يَزْدَادُ الْإِبْرِيسِمُ عَلَى نَفْسِهَا لَفًا إِلَّا
أَزْدَادَتْ مِنَ الْخُرُوجِ بَعْدًا وَفِيهِ قِيلَ:

كَدُودٌ كَدُودِ الْقَرْزِ يَنْسُجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا وَسَطَ مَا هُوَ نَاسِجُهُ

★ ★ ★

قَالَ حَكِيمٌ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: تُرِيدُ أَنْ أُرِيكَ الدُّنْيَا. فَقَالَ: نَعَمْ. فَأَخَذَ بِيَدِهِ
وَأَنْطَلَقَ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى مَرْبَلَةٍ فِيهَا رُؤُوسُ الْآدَمِيِّينَ مُلْقَاةً. وَبَقَايَا عِظَامِ نَخِرَةٍ
وَحِرْقٍ قَدْ تَمَزَّقَتْ وَتَلَوَّتْ بِنَجَاسَاتٍ. فَقَالَ: هَذِهِ رُؤُوسُ النَّاسِ الَّتِي تَرَاهَا
كَانَتْ مِثْلَ رُؤُوسِكُمْ كَانَتْ مَمْلُوءَةً مِنَ الْحِرْصِ وَالْأَجْتِهَادِ عَلَى جَمْعِ الدُّنْيَا.
وَكَانُوا يَرْجُونَ مِنْ طُولِ الْأَعْمَارِ مَا تَرْجُونَ. وَكَانُوا يَجْدُونَ فِي جَمْعِ الْمَالِ
وَعِمَارَةِ الدُّنْيَا كَمَا تَجْدُونَ. فَالْيَوْمَ تَعَرَّتْ عِظَامُهُمْ وَتَلَاشَتْ أَجْسَامُهُمْ كَمَا تَرَى.
وَهَذِهِ الْخِرْقُ كَانَتْ أَثْوَابَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَتَزَيَّنُونَ بِهَا عِنْدَ التَّجَمُّلِ وَقْتَ الرُّغُونَةِ
وَالْتَّجَمُّلِ وَالتَّزْيِينِ. فَالْيَوْمَ قَدْ أَلْقَتْهَا الرِّيحُ فِي النَّجَاسَاتِ. وَهَذِهِ عِظَامُ دَوَابِهِمُ
الَّتِي كَانُوا يَطُوفُونَ أَقْطَارَ الْأَرْضِ عَلَى ظُهُورِهَا. وَهَذِهِ النَّجَاسَاتُ كَانَتْ
أَطْعِمَتَهُمُ اللَّذِيذَةَ الَّتِي كَانُوا يَحْتَالُونَ فِي تَحْصِيلِهَا لَا يَقْرُبُهَا أَحَدٌ مِنْ نَتْنِهَا.
فَهَذِهِ جُمْلَةُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا كَمَا تُشَاهِدُ وَتَرَى. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى الدُّنْيَا
فَلْيَبْكْ فَإِنَّهَا مَوْضِعُ الْبُكَاءِ. (قَالَ) فَبَكَى جَمَاعَةُ الْحَاضِرِينَ.

★ ★ ★

وَلِلَّهِ الْحَرِيرِيُّ حَيْثُ قَالَ:

يَا طَالِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةُ إِنَّهَا شَرُّكَ الرَّذَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَبْكْتَ غَدًا تَبًّا لَهَا مِنْ دَارِ
غَارَاتُهَا لَا تَنْقُضِي وَأَسِيرُهَا لَا يُفْتَدَى بِجَلَائِلِ الْأَخْطَارِ
فَاقْطَعِ عِلَاقَ حُبِّهَا وَطِلَابِهَا تَلْقَ الْهُدَى وَرَفَاهَةَ الْأَسْرَارِ

★ ★ ★

مَثَلُ أَهْلِ الدُّنْيَا وَاشْتِغَالِهِمْ وَاهْتِمَامِهِمْ بِأَحْوَالِهَا وَنِسْيَانِ الْآخِرَةِ وَإِهْمَالِهَا
كَمَثَلِ قَوْمٍ رَكِبُوا مَرْكَبًا فِي الْبَحْرِ فَعَدَلُوا إِلَى جَزِيرَةٍ لِأَجْلِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ.
فَنَزَلُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ وَالْمَلَأُحُ يُنَادِيهِمْ لَا تُطِيلُوا الْمَكْثَ لِيَلَّا يَفُوتَ الْوَقْتُ وَلَا
تَشْتَغِلُوا بِغَيْرِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ الْمَرْكَبَ سَائِرٌ. فَمَضَوْا وَتَفَرَّقُوا فِي الْجَزِيرَةِ وَانْتَشَرُوا
فِي نَوَاحِيهَا. فَالْعُقَلَاءُ مِنْهُمْ لَمْ يَمْكُثُوا وَعَادُوا إِلَى الْمَرْكَبِ. فَوَجَدُوا الْأَمَاكِينَ
خَالِيَةً فَجَلَسُوا فِي أَطْهَرِ أَمَاكِينِهِ وَأَوْفَقِهَا، وَأَطْيَبِ مَوَاضِعِهِ وَأَرْفَقِهَا. وَمِنْهُمْ قَوْمٌ
نَظَرُوا إِلَى عَجَائِبِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ. وَوَقَفُوا يَتَنَزَّهُونَ فِي زَهْرِهَا وَأَثْمَارِهَا،
وَرَوْضِهَا وَأَشْجَارِهَا، وَيَسْمَعُونَ تَرْتُمَ أَطْيَارِهَا، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ حَصْبَائِهَا الْمُلَوَّنَةِ
وَأَحْجَارِهَا. فَلَمَّا عَادُوا إِلَى الْمَرْكَبِ لَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَوْضِعًا وَلَا رَأْوًا مُتَسَعًا.
فَقَعَدُوا فِي أَضْيَقِ مَوَاضِعِهِ وَأَظْلَمِهَا. وَمِنْهُمْ قَوْمٌ وَقَفُوا مَعَ عَجَائِبِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ
فَتَحَيَّرُوا، وَفِي الرُّجُوعِ لَمْ يَتَفَكَّرُوا، حَتَّى سَارَ الْمَرْكَبُ فَبَعْدُوا عَنْهُ وَانْقَطَعُوا
وَفِي أَمَاكِينِهِمْ تَخَلَّفُوا. إِذْ لَمْ يُصْغُوا إِلَى الْمُنَادِي وَلَمْ يَسْمَعُوا. فَمِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ
مِنَ الْجُوعِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ، وَنَهَشَتْهُ الضَّبَاعُ. فَالْقَوْمُ الْمُتَقَدِّمُونَ هُمْ

الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ. وَالْقَوْمُ الْمُتَخَلِّفُونَ الْهَالِكُونَ هُمُ الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ وَنَسُوا
الْآخِرَةَ وَسَلَّمُوا كُلَّيْتَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَرَكَنُوا إِلَيْهَا وَاسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ. وَأَمَّا الْجَمَاعَةُ الْمُتَوَسِّطُونَ فَهُمْ الْعَصَاةُ الَّذِينَ حَفِظُوا أَصْلَ الْإِيمَانِ
وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُوا يَدَهُمْ عَنِ الدُّنْيَا. فَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ بِغِنَاهُ وَنِعْمَتِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ
تَمَتَّعَ مَعَ فَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ. إِلَى أَنْ ثَقُلَتْ أَوْزَارُهُمْ. وَكَثُرَتْ أَوْسَاحُهُمْ وَأَصَارُهُمْ.

(للغزالي)

★ ★ ★

لَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَفَاةَ نَظَرَ إِنِّي أَهْلِي يَبْكُونَ حَوْلَهُ فَقَالَ:
جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالدُّنْيَا وَجَدْتُمْ لَهُ بِالْبُكَاءِ. وَتَرَكَ لَكُمْ مَا جَمَعَ وَتَرَكْتُمْ عَلَيْهِ مَا
حَمَلَ. مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ.

(للطرطوشي)

★ ★ ★

زوال الدنيا

إِعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا مَنْزِلَةٌ وَلَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ وَالْإِنْسَانُ فِيهَا عَلَى صُورَةِ مُسَافِرٍ.
فَأَوَّلُ مَنَازِلِهِ بَطْنُ أُمِّهِ وَآخِرُ مَنَازِلِهِ لَحْدُ قَبْرِهِ. وَإِنَّمَا وَطَنُهُ وَقَرَارُهُ وَمُكْنُهُ
وَأَسْتِقْرَارُهُ بَعْدَهَا. فَكُلُّ سَنَةٍ تَنْقُضِي مِنْ عُمُرِ الْإِنْسَانِ كَالْمَرْحَلَةِ. وَكُلُّ شَهْرِ
يَنْقُضِي مِنْهُ كَأَسْتِرَاحَةِ الْمُسَافِرِ فِي سَفَرِهِ. وَكُلُّ أُسْبُوعٍ فَكْرِيَّةٌ تَلْقَاهُ فِي طَرِيقِهِ.

وَكُلُّ يَوْمٍ فَكْفَرَسَخٍ يَقْطَعُهُ. وَكُلُّ نَفْسٍ فَكْخُطْوَةٍ يَخْطُوهَا. وَبِقَدْرِ كُلِّ نَفْسٍ
يَتَنَفَّسُهُ يَقْرُبُ مِنَ الْآخِرَةِ. وَهَذِهِ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَمَنْ عَبَرَ الْقَنْطَرَةَ وَاشْتَغَلَ
بِعِمَارَتِهَا فَنِيَ فِيهَا زَمَانُهُ. وَأُنْسِي الْمُنْزِلَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَصِيرُهُ وَهِيَ مَكَانُهُ. وَكَانَ
جَاهِلًا غَيْرَ عَاقِلٍ. وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي لَا يَشْتَغِلُ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا بِإِعْدَادِ زَادِهِ
لِمَعَادِهِ. وَيَكْتَفِي مِنْهَا بِقَدْرِ حَاجَتِهِ. وَمَهْمَا جَمَعَهُ مِنْهَا فَوْقَ كِفَايَتِهِ كَانَ سُمًّا
قَاتِلًا. وَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ خَزَائِنِهِ وَسَائِرُ ذَخَائِرِهِ فَانِيَةً رَمَادًا وَتُرَابًا لَا فِضَّةَ
وَذَهَبًا. وَلَوْ جَمَعَ مَهْمَا جَمَعَ فَإِنَّمَا يُصِيبُهُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَلْبَسُهُ لَا سِوَاهُ. وَجَمِيعُ مَا
يُخَلِّفُهُ يَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً وَيَصْنَعُ عَلَيْهِ نَزْعُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ. فَحَلَالُهَا حِسَابٌ.
وَحَرَامُهَا عَذَابٌ. إِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَ الْمَالَ مِنْ حَلَالٍ طَلِبَ مِنْهُ الْحِسَابُ. وَإِنْ
كَانَ قَدْ جَمَعَهُ مِنْ حَرَامٍ أَوْجَبَ عَلَيْهِ الْعِقَابُ. وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ حَسْرَةِ
حُلُولِ الْعَذَابِ بِهِ فِي حُفْرَتِهِ وَآخِرَتِهِ. وَأَعْلَمُ أَنَّ رَاحَةَ الدُّنْيَا أَيَّامٌ قَلِيلٌ وَأَكْثَرُهَا
مُنْغَصٌ بِالتَّعَبِ. وَمَشُوبٌ بِالنَّصَبِ. وَبِسَبَبِهَا تَفُوتُ رَاحَةُ الدُّنْيَا الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ
الدَّائِمَةُ الْبَاقِيَةُ وَالْمُلْكُ الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا نِهَايَةَ لَهُ. فَسَهْلٌ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَصْبِرَ
فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلِيلِ لِنَيْالِ رَاحَةِ دَائِمَةٍ بِلَا انْقِصَاءٍ. وَالدُّنْيَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ فِي
جَنْبِ الْآخِرَةِ وَلَا نِسْبَةً بَيْنَهُمَا لِأَنَّ الْآخِرَةَ لَا نِهَايَةَ لَهَا وَلَا يُدْرِكُ آلَوْهْمُ طُولَهَا
(للغزالي)

★ ★ ★

لَمَّا بَنَى الْمَأْمُونُ بْنُ ذِي النُّونِ ، وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ ، قَصْرَهُ وَأَنْفَقَ فِي
بِنَائِهِ بَيُوتَ أَمْوَالِهِ فَجَاءَ عَلَى أَكْمَلِ بُنْيَانٍ فِي الْأَرْضِ . وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ
صَنَعَ فِيهِ بَرَكَةً مَاءٍ كَأَنَّهَا بُحَيْرَةٌ . وَبَنَى فِي وَسْطِهَا قُبَّةً ، وَسِيقَ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ

الْأَرْضِ حَتَّى عَلَا إِلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ عَلَى تَذْيِيرٍ قَدْ أَحْكَمَهُ الْمُهَنْدِسُونَ. وَكَانَ
الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ حَوَالَيْهَا مُحِيطًا بِهَا مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. فَكَانَتْ
الْقُبَّةُ فِي غِلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ سَكْبًا لَا يَفْتَرُّ وَالْمَأْمُونُ قَاعِدٌ فِيهَا. فَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا
هُوَ نَائِمٌ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا يُنْشِدُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ:

أَتَبْنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا مَقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلُ
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ^(١) كِفَايَةً لِمَنْ كَانَ يَوْمًا يَقْتَضِيهِ رَحِيلُ

فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ

★ ★ ★

قَالَ بَعْضُ الْأَكَابِرِ فِي مَرَضٍ

نَمْضِي كَمَا مَضَتْ الْقَبَائِلُ قَبْلَنَا لَسْنَا بِأَوَّلِ مَنْ دَعَاهُ الدَّاعِي
تَبْقَى النُّجُومُ دَوَائِرَ أَفْلَاكُهَا وَالْأَرْضُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ نَاعٍ
وَزَخَارِفُ الدُّنْيَا يَجُوزُ خِدَاعُهَا أَبَدًا عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ

★ ★ ★

خطبة أبي الدرداء في أهل الشام

لَمَّا دَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ الشَّامَ قَالَ: يَا أَهْلَ الشَّامِ أَسْمَعُوا قَوْلَ أَخِي لَكُمْ نَاصِحٍ.
فَاجْتَمِعُوا عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكُمْ تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ. وَتَجْمَعُونَ مَا لَا

(١) الأراك: شجر ترعاه الماشية، له تمر كعناقيد العنب.

تَأْكُلُونَ. وَتَقُولُونَ مَا لَا تَذَرِكُونَ. إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ بَنُوا مَشِيدًا. وَأَمَلُوا
بَعِيدًا. وَجَمَعُوا كَثِيرًا. فَأَضْحَى أَمْلُهُمْ غُرُورًا. وَجَمَعَهُمْ بُورًا. وَمَسَاكِينُهُمْ قُبُورًا.

★ ★ ★

وَرَوَى الْجَاهِظُ قَالَ: وَجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى حَجَرٍ: ابْنُ آدَمَ! لَوْ رَأَيْتَ يَسِيرَ مَا
بَقِيَ مِنْ أَجَلِكَ، لَزَهَدْتَ فِي طُولِ مَا تَرْجُو مِنْ أَمَلِكَ، وَلَرَغِبْتَ فِي الزِّيَادَةِ مِنْ
عَمَلِكَ، وَلَقَصَّرْتَ عَنْ حِرْصِكَ وَمَمْلِكَ. وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ غَدَا نَدَمُكَ. وَقَدْ زَلَّتْ بِكَ
قَدَمُكَ. وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ وَحَشَمُكَ. وَتَبَرَّأَ مِنْكَ الْقَرِيبُ، وَأَنْصَرَفَ عَنْكَ الْحَبِيبُ.
فَلَا أَنْتَ فِي عَمَلِكَ زَائِدٌ، وَلَا إِلَى أَهْلِكَ عَائِدٌ.

(للطرطوشي)

★ ★ ★

قَالَ فخرُ الدِّينِ البَكرِيُّ:

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَفْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَخْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَحَامِلُ دُنْيَانَا أَذَى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ عَنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَزَالُوا

★ ★ ★

القسم الثاني

في التصوّف

التصوّف

تعريفه:

التصوّف هو التماس الحقّ عن طريق تطهير النفس التي تلوّثت بأدران المادّة عند حلولها في الجسد، بعد أن كانت طاهرة شريفة، وإعدادها لقبوله بالإلهام الإلهي. ولا سبيل إلى عودتها طاهرة إلّا بقهر الجسد وإذلاله، وحرمانه من مشتبهاته ورغباته الدنيويّة، وذلك بالانقطاع إلى العبادة، وممارسة الصلاة، والتّقشّف. فإذا تمّ لها ذلك سمت نحو الله، واقتبست منه المعرفة الحقيقيّة، وسلكت طريق الحقّ.

أصل التسمية:

اختلف الباحثون في سبب تسميته، فمنهم من قال: من الصفاء، لأنّ أربابه عرفوا بصفاء القلب، والتخلّي عن السعادة الدنيويّة طمعاً بالاتحاد الكامل بالله. ومن الصفة، وهي السقيفة التي يأوي إليها الفقراء المتعبّدون خارج مسجد المدينة. ومن الصوف، كما قال ابن خلدون، والمستشرقان نولدكه ونيكلسن « فالصوفيّ هو الذي يرتدي غليظ الصوف »، والصّوف لباس المتعبّدين والنسّاك، وقد اتّخذوه لقهر النفس، وإيذاء الجسد، فغدا شعاراً لهم. وقال السهروردي في كتابه « عوارف المعارف »: وهذا الاختبار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق، لأنّه يقال: تصوّف إذا لبس الصوف، كما يقال: تقمّص إذا لبس القميص... فنسبوا

إلى ظاهر اللبسة، وكان ذلك أبين في الإشارة إليهم^(١).

منابع التصوّف:

اختلفت الآراء حول منابع التصوّف من حيث أصالتها في الإسلام، أو كونها دخيلة عليه، وغريبة عنه. منهم من قال: إنّ بذور التصوّف موجودة في الإسلام، ومنهم من قال: إنّها غريبة عنه؛ وقال بعضهم الآخر: إنّ نشأ متأثراً بالأصول الإسلامية، ثمّ ابتعد عن الإسلام، فوقع المتأخرون من المتصوّفين بالمغالاة والتطرف. ولكنّ هذا الرأي لم يجد أذنًا صاغية عند بعضهم الآخر الذي قال: إنّ التصوّف نشأ غريباً عن الإسلام، ثمّ عاد إلى أحضانه، نافياً عنه ما لا يتلاءم مع جوهر العقيدة.

تأثير التصوّف بالعوامل الإسلامية:

إن أهم العوامل الإسلامية التي أثرت في التصوّف هي:

أ - القرآن، وهو المصدر الرئيسي للعقيدة الإسلامية، إذ نجد فيه آيات كثيرة تدعو المؤمنين إلى ترك الحياة الدنيا، والاهتمام بالآخرة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢) وفيه آيات تدعو إلى الذكر والتسبيح، كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْأُبْكَارِ﴾^(٣) وإلى الحبّ والقرب والرضى، كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٤) و﴿نَحْنُ

(١) عوارف المعارف، على «هامش إحياء علوم الدين» للغزالي. طبعة القاهرة، ج ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٢) المنافقون: ٩.

(٣) آل عمران: ٤١.

(٤) المائدة: ٥٤.

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١﴾ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴿٢﴾ . كُلَّ
هذه الأمور اتخذها المتصوّفون طرائق بنوا عليها مذهبهم، وبخاصة نظرتهم في
الحلول ووحدّة الوجود، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣) ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ
اللَّهِ﴾ (٤)، ووحدّة الأديان مع تعدّد مظاهرها، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (٥).

وفي الواقع أنّ القرآن يجمع بين الدعوة إلى العبادة، والدعوة إلى العمل،
مشرّعاً أسس الحياتين: الدنيا والآخرة. فالإسلام إذن لا يحبذ الإعراض التام عن
الدنيا، وإنما ينهى عن الإسراف في التقشّف، ويدعو إلى القيام بالواجبات
الاجتماعية، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا
مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (٦) ﴿وَلَا تَسْ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (٧) كما أنّنا نجد أنّه
يحلّل خيرات الدنيا في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ
اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨).

ب - سيرة الرسول: وكذلك نجد في سيرة الرسول (ﷺ) نزعة الإعراض

(١) ق: ١٦

(٢) الأعراف: ٢٠٤.

(٣) الحديد: ٣.

(٤) البقرة: ١١٥.

(٥) المائدة: ٤٨.

(٦) الجمعة: ١٠.

(٧) القصص: ٧٧.

(٨) المائدة: ٨٧.

عن الدنيا، ونزعة السعي وراءها، فإننا نراه يبحث على العبادة والتقوى، ولكنه لم يَنَ عن لذائذ الحياة المشروعة، كقوله (ﷺ): «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه» أو قوله: «الطاعم الشاكر خير من الصوام الزاهد» كما نهى عن العزوبة بقوله: «لكل نبي رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله» وروي عنه أنه قال لرجل مال إليها: «فأنت إذن من إخوان الشياطين، إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم، وإن كنت منّا فمن سنتنا النكاح». وروي أيضاً: «إنما حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة».

وكذلك في عهد الصحابة، فإننا نجد أمثلة واضحة لهاتين النزعتين (نزعة الإعراض عن الدنيا ونزعة السعي وراءها). فهناك تيار يساعد على تنمية وتقوية روح الزهد في الإسلام، وبخاصة في العراق، حيث ظهرت طائفة «العباد» الذين أعرضوا عن الدنيا طمعاً في الآخرة. ولعل سبب ظهور هذه الطائفة هو الخصومات السياسية التي قامت حول الخلافة، وأدت إلى الفتن والحروب بين المسلمين، كمعركة الجمل وصفين، بعد أن كان المسلمون في العهد الراشدي متّحدين، وخلفاؤهم متقشّفين لا تستهويهم مفاتن الدنيا وزخرف الحياة. أمّا في العهدين: الأموي والعباسي، فقد انهمكت الخلافة في الملذّات مما أدّى إلى ردّ فعل عند الورعين فراحوا ينشدون المثل العليا الإسلامية في الزهد والإعراض عن الدنيا. وقد تأجّجت حرارة الإيمان في نفوسهم بقدر ما ازداد العبث والمجون عند سواهم، فأصبحت المدينة العباسية: «مسجداً وحانة، وقارناً وزامراً، ومجتهداً يرقب الفجر ومصطبحاً في الحداثق، وساهراً في تجهد، وساهراً في طرب، وتخمّة من غنى، ومسكنة في إملاق، وشكاً في دين، وإيماناً في يقين. كلّ هذا كان في العصر العباسي، وكلّ هذا كان كثيراً»^(١).

والجدير بالذكر أن أعضاء تلك الطائفة لا يعتبرون متصوّفين بل زهاداً، لأنّ

(١) أحمد أمين. ضحى الإسلام. ج ١، ص ١٦٠.

الزهد سلوك خاص، والتصوّف فلسفة دينية، ونظرة خاصة في الحياة. فالصوفية كما يقول ابن خلدون « هي من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ». وقال السهروردي في كتابه عوارف المعارف: « التصوّف غير الزهد؛ فالتصوّف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد مع مزيد أوصاف وإضافات لا يكون بدونها الرجل صوفيًا، وإن كان زاهدًا وفقيرًا »^(١).

أما عبد اللطيف الطيباوي فقد أشار في كتابه « التصوّف الإسلامي »^(٢) إلى الفروقات بين الزهد والتصوّف، منها:

أ - الفرق في الغاية: فالزاهد يترك الدنيا طمعًا في الآخرة. أما المتصوّف فيهدف إلى الاتّصال بالله في هذه الدنيا.

ب - الفرق في الفكرة: فالزاهد يرهّب خوف الله وبطشه، والصوفي يطمئن إلى رحمته ولطفه وكرمه.

ولكن هذه النزعة أخذت تتسع وتتطوّر بسبب اختلاط العرب بالأعاجم، وما رافق ذلك من اتّلاعات على آراء دينية وفلسفية، تتعلّق بحقيقة النفس الإنسانية ومصيرها، وما دار حول هذا الأمر من جدال؛ كلّ هذا كان يدفع إلى التأمّل الروحي، فتطوّر الزهد على نحو جديد، وتحول إلى مذهب فلسفي له طريقته ونظامه. ومن أهمّ المنابع التي استقى منها التصوّف العربي عناصره بالإضافة إلى العامل الإسلامي نذكر:

العامل المسيحي:

إنّ أهمّ النظريات التي أخذها الصوفيون عن المسيحية هي نظرية « الحبّ

(١) عوارف المعارف. على « هامش إحياء علوم الدين » ج ١، ص ٢٨٣.

(٢) التصوّف الإسلامي العربي. ص ٢٦.

الإلهي». فقد كانت نظرة الزاهدين إلى الله نظرة يملأها الخوف والرغبة، غير أن المتصوفين نقلوا شعور الخوف من الله إلى شعور بمحبته، وذلك بتأثير التعليم المسيحي. ولعل هيام الصوفي بحبة الله يعتبر أول خطوة في ابتعاد التصوف عن الزهد، وتخطيه إلى حدود الفلسفة. فالحبة الصوفي هو اعتاق من المادة، وتطلع إلى سحر العالم العلوي... والمحبوب عنده هو الله، وحبّه لا حدود له، كما تقول رابعة العدوية:

أَحِبُّكَ حَيِّنْ : حُبُّ الْهَوَى وَحُبًّا لَأَنْتَ أَهْلٌ لَذَاكَ
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَى فَشُغْلِي بِذِكْرِكَ عَنْ سِوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشْفُكَ لِلْحُجُبِ حَتَّى أَرَاكَ
فَلَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ

كما أن ابن الفارض يتمثل محبوبه في كل ما حوله من سحر وجمال، ونغم، ومسارح للغزلان...

تَرَاهُ إِنْ غَابَ عَنِّي كُلَّ جَارِحَةٍ فِي كُلِّ مَعْنَى لَطِيفٍ رَائِقٍ بَهْجِ
وَفِي نَعْمَةِ الْعُودِ وَالنَّايِ الرَّخِيمِ إِذَا تَأَلَّفَا بَيْنَ الْهَانِ مِنَ الْهَزَجِ
وَفِي مَسَارِحِ غِزْلَانِ الْخَمَائِلِ فِي بَرْدِ الْأَصَائِلِ وَالْإِصْبَاحِ فِي الْبَلَجِ
لَمْ أَدْرِ مَا غُرْبَةُ الْأُوطَانِ وَهُوَ مَعِي وَخَاطِرِي أَيْنَ كُنَّا غَيْرَ مُنْزَعِجِ

وإلى جانب «الحب الإلهي»، فقد تأثر الصوفيون بـ «التوكل المطلق على الله»، إذ جاء في إنجيل متى: «لا تهتموا لأنفسكم بما تأكلون، ولا لأجسادكم بما تلبسون... انظروا إلى طير السماء، فإنها لا تزرع، ولا تحصد، ولا تخزن في الأهراء، وأبوك السماوي يقوتها، أفلمستم أنتم أفضل منها؟»^(١) وهذا التوكل جعله

(١) متى ٦ : ٢٥ - ٢٦.

المتصوفون أحد مقاماتهم المهمة، من بلغه حصل على الطمأنينة النفسية.

وكذلك أخذ المتصوفون عن رهبان النصارى لباس الصوف، وهو من علامات الفقر والزهد في المسيحية، وبالغوا في الاقتداء بهم، حتى إن بعضهم آثر العزوبة على الزواج بالرغم ما في ذلك من نقض لتعاليم الإسلام. كما تأثروا بنظامهم، ولعل ما جاء في القرآن من إطراء للمسيحية ساعد على أن يقتبس الصوفيون كثيراً من نظام المسيحية: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١)

العامل الهندي:

وإن جميع المشكلات التي تعرض لها العقل البشري من حيث المعرفة الحقة والاتصال بالمبدأ الأول (الله) قد تعرض لها العقل الهندي منذ أقدم العصور. فمن الطبيعي أن يطلع هؤلاء على الفكر الهندي، ويتأثروا به، من خلال الرهبان الرحّل من البوذيين الذين كانوا كثيري العدد في بلاد الشام والعراق في عهد الدولة الأموية ودولة بني العباس.

أما العناصر المشتركة بين التصوف الهندي والتصوف الإسلامي فمرجعها إلى ما يلي:

- فكرة الفناء الذاتي في الوجود الكلّي، وهو أشبه «بالنرقانا» الهندية، إلا أن الفرق بينهما هو أن «النرقانا» فناء نهائي، لأن النفس تتحرّر من كل القيود الجسدية، وتتلاشى في النفس الكلّية، بحيث لا يصبح لها وجود ذاتي؛ أما الفناء عند المتصوفين الإسلاميين فيعقبه بقاء.

- فكرة المراحل: وهي الطرق التي يسلكها المتصوف للوصول إلى الفناء.

- فكرة الاتحاد: أي الاتحاد الكلّي الذي يجعل من الاثنين واحداً.

(١) المائدة: ٨٢.

- فكرة الخرقة والسبحة ورياضات الذكر: فالخرقة هي اللباس الذي يرتديه المريد عند دخوله في الجماعة الصوفية. أما السبحة فهي وسيلة لتسبيح الخالق. وأما رياضات الذكر فقد اقتبسها المسلمون عن الهنود.

عامل الأفلاطونية الحديثة:

تقوم الأفلاطونية الحديثة على فكرة «المثل الأفلاطونية» القائمة على الوهم والظل، وترتكز على «الغنوصية» التي تقول بأن المادة أصل الشرور في العالم، وأن الله في قمة الوجود، بينه وبين العالم المادي سلسلة من الكائنات تسمى الأيونات.

وإذا قارنا بين عقائد الصوفيين والأفلاطونية الحديثة نجدها مشبعة بآراء أفلوطين. فمعرفة الله بالعقل غير ممكنة، فالعقل لا يمكننا إلا من معرفة آثاره، وطريق الحق لا يكون إلا بتطهير النفس من رجس المادة، والبعد عن الملذات الدنيوية. حينئذ يصل الإنسان إلى مشاهدة الله والاتصال به، أو التأله في لغة أفلوطين.

والكلام عن حجب المادة في التصوف مأخوذ أيضاً من الأفلاطونية الحديثة التي تقول بأن سبعين ألف حجاب تفصل بين العالم العلوي والعالم المادي؛ فالنفس حين تهبط إلى الجسم تخترق هذه الحجب. ولكي تعود إلى حيث هبطت يجب أن تتخلص من أثقالها لتقوى على الصعود، مستعينين على ذلك بالأحوال والمجاهدة والذكر والسماع.

ومن معتقداتهم القول بوحدة الوجود، وهذه النظرية تتفق مع مذهب أفلاطون القائل بأن العالم الطبيعي ظلّ للعالم المثالي. وخلاصتها أنه لا موجود إلا الله، لأن كل موجود غير مستغن عن الله في وجوده، إلا وجود الله، فالعالم كله وجوده من ذات الله، ولذاته وبذاته، فهو شأن من شؤونه أو فعل من أفعاله.

العامل الإشراقي:

المعرفة الإشراقية هي المعرفة اليقينية، وهي نوع من المباشرة لا يحتاج إلى دليل عقلي أو برهان منطقي، وهي تحصل عند تجرد النفس من المادّة، بحيث تشرق عليها المعارف العلوية إشراقاً نورانياً.

وقد تبنّى الصوفيون هذه النظرية، فالمعرفة عندهم حدس باطني وقد تسرّبت آراء الإشراقيين إلى العقيدة الصوفية عن طريق بعض أقطابها أمثال البسطامي والحلاج، وانطلاقاً من مبدأ الإشراق قالت الصوفية بالاتحاد، والحلول.

النظام الصوفي:

اتخذ المتصوّفون أمكنة لاجتماعاتهم، عرف واحداً « بالرباط » أو « التكية »، فكانوا ينقطعون إليها، فيقضون نهارهم بالقراءة، وليلهم بالتهجد، ويقيمون في المناسبات حفلات الذكر. أما مأكلاتهم فكسرة خبز وكوب ماء، ولباسهم قميص صوف، وفراشهم حصيرة صغيرة.

ومن شروط الدخول في جماعتهم أن يتخلّى الطالب عن كل أملاكه وأمواله، ويتناسى أهله وأقرباءه، وأن يكون مطيعاً لشيخه ومرشده طاعة عمياء، وأن يزاوّل القراءة نهاراً، والتهجد ليلاً. فإذا رضي بذلك كلّه عيّنه له شيخ يدرّبه، وفي حال نال رضي شيخه من حيث ارتياضه وتغلّبه على نزواته ألبس الخرقة الزرقاء بعد أن يكرّس متصوّفاً.

ولا بدّ للطالب من أن يمرّ بدرجات أربع وهي: المرید، فالسالك، فالمجذوب، فالمتدارك.

أما المراتب فهي: المبتدئ، فالمتدرّج، فالشيخ، فالقطب.

وبما أن اعتقاد المتصوّفين أنّ التصوّف هو طريق العبد إلى ربّه، وما حياته إلّا بمثابة سفر إليه، لذا يأمل بمشاهدة الحقّ. وهذا السفر ذو مراحل تعرف بالمقامات.

المقامات:

وهي ما يقوم به العبد بين يدي ربه من العبادات والمجاهدات، من أجل الاتصال به، وقد جعلها الشيخ الطوسي في كتابه «اللمع في التصوف» سبعة هي:

- التوبة: هي الشعور بالإثم، والندم عليه، والعزم على تركه.

- الورع: أن لا يتكلم العبد إلاّ بالحق غضب أو رضي، وهو أول الزهد وفي آخره يلبس السالك المرقعة.

- الزهد: هو ترك لذائذ الدنيا طمعاً بلذائذ الآخرة.

- الفقر: هو «أن يخلو القلب ممّا خلت اليدان»، وهو الاكتفاء من حاجات الحياة بالضروري.

- الصبر: هو ان يحتمل السالك المكروه باسم الثغر، دون تأفف أو تدمر. وهو نوعان: صبر على ما أمر به الله، وصبر عما نهى عنه.

- التوكل: هو الاستسلام الأعمى لمشیئة الله.

- الرضا: هو «سرور القلب بمرّ القضاء».

الأحوال:

هي عشرة في كتاب «اللمع» وهي:

- المراقبة: تجعل السالك يفكر في أن الله يراه، فلا تنطرق إلى قلبه الأفكار الأليمة، ووساوس الشيطان.

- القرب: هو اقتراب السالك من ربه بالطاعة والذكر بالسرّ والعلن.

- المحبة: هي دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحبة، أي أن يكون الغالب على قلب المحبة ذكر صفات المحبوب.

- الخوف: هو لجوء إلى الله من الله نفسه.

- الرجاء: هو تعلق النفس بمن تحب، أملاً في الوصول إليه في المستقبل.

- الشوق: هو هيجان النفس لدى ذكر المحبوب.

- الأنس: هو الشعور بمحادثة المحبوب عن قرب.

- الطمأنينة: وهي تحدث في قلوب الذين لا يذهبون إلى القول بالأنس «وكاننا بهذه الحال وقف على المحافظين الذي لا يزالون يؤمنون بالاتصال بالله مباشرة في العالم الأرضي ليس من الأمور اليسيرة على البشر، وإن كانوا في الدرجة العليا من الكمال النفساني والاستعداد الذاتي... فيطمثون إلى ربهم في دعة وسلام، ويسلمون له القياد»^(١).

- المشاهدة: هي وصل بين رؤية العين ورؤية القلب.

- اليقين: هو المكاشفة، ورضى السالك بما قسم الله له.

مبادئ الصوفية

إن حجر الزاوية في التصوف الإسلامي هو الشهادتان: الإيمان بالتوحيد، والتصديق بالرسالة؛ وعلى ما يترتب على المؤمن من فروض ونوافل. أمّا في ما عدا ذلك فالتصوف نزعته الخاصة، وفلسفته المستقلة؛ فمن مبادئه:

- الذات الإلهية: أي إن الله هو الموجود الحقيقي الوحيد، وكل ما سواه باطل.

- العالم: لا وجود حقيقي للعالم فهو العدم، ووجود العدم في ذلك ضروري، لأنه به يعرف الوجود الحقيقي.

- الشر: ليس له وجود مطلق في العالم، وإنما وجوده اعتباري لا ذاتي. لأن الكون صورة الله، وليس في صورة الله شر.

(١) جبور عبد النور. التصوف عند العرب. ص ١١٥ - ١١٦.

- الحبّ الإلهي: هو جوهر العبادة الصحيحة؛ إذ يجب أن تكون خالصة لوجه الله.

- التوكّل المطلق وهو الإيمان بقضاء الله وقدره.

- الاتّصال والفناء: بفضل الرياضة الصوفية التي تؤدّي بالنفس إلى الغيبوبة، ترتفع النفس إلى العالم العلوي حيث يتسنى لها الاتّصال بالله والفناء فيه، وتستمدّ منه المعرفة إلى حين.

- مصدر المعرفة: هو القلب لا العقل، فإذا أضاءه الله بنور الإيمان غدا صالحاً لإلهام الحقّ.

- الإنسان الكامل هو ظلّ الله على الأرض، والنفس العاقلة هي خيال الله في الجسم.

أما شعائر الصوفية فهي:

- الذكر: أي تكرار اسم الله في حلقاتهم

- السماع: أي الإصغاء إلى تكرار الذكر، أو الترتيل وسواهما.

- الغناء: أي إنشاد التراتيل أو القصائد الصوفية.

- الموسيقى: أي الأنغام التي تثير النفوس وتنشئها.

- الرقص: أي دوران العبد حول نفسه من شدة التأثر والنشوة.

- تعذيب الجسد: أي قهره بالجوع والعطش والضرب بوسائل شتى^(١).

(١) كمال البازجي وانطون كرم. أعلام الفلسفة العربية، بيروت، ط ٢، ص ٢٧٧ - ٢٧٩.

ابن الفارض

هو أبو القاسم عمر بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والوفاء (٥٧٦ هـ / ١١٨١ م - ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م) أشعر المتصوفين، يلقب بسلطان العاشقين. في شعره فلسفة تتصل بما يسمى «وحدة الوجود». كان والده زاهدًا متقشفًا، ويُلَقَّب بالفارض، لأنه كان، فيما زُعم، يثبت الفروض للنساء على الرجال بين أيدي الحكام.

نشأ ابن الفارض بمصر، وحُبِّب إليه سلوك طريق الصوفية، فتزهد، وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة في خرابات القاهرة وأطراف جبل المقطم. كان شيخ «الاتحادية». ومن كلامه بالاتحاد:

وفي موقفني لا بل إليّ توجهي ولكن صلاتي لي وميني كعبتني
له «ديوان شعر» جمعه سبطه علي. وفيما يلي بعض قصائده الصوفية:

★ ★ ★

قلبي يحدثني بأنك متلفي
روحي فداك عرفت أم لم تعرف
لم أقضِ حق هواك إن كنت الذي
لم أقضِ فيه أسى ومثلي من يفني

ما لي سوى روعي وباذل نفسه
في حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد أسعفتني
يا خيبة المسعى إذا لم تُعِف
يا مانعي طيب المنام ومانحي
ثوب السقام به ووجدي المتلف
عطفًا على رمقي وما أقيت لي
من جسمي المضنى وقلبي المدنف



نسخت بحبي آية العشق من قلبي
فأهل الهوى جندي وحكمي على الكل
وكل فتى يهوى فإني إمامه
وإني بريء من فتى سامع القذل
ولي في الهوى علم تُجل صفاته
ومن لم يفقه الهوى فهو في جهل
ومن لم يكن في عزّة النفس تائها
بحب الذي يهوى فبشره بالذل
إذا جاد أقوام بمال رأيتهم
يجردون بالأرواح منهم بلا بُخل

وإن ودِّعوا سرًّا رأيت صدورهم
قبورًا لأسرارٍ تنزه عن نقلِ

★ ★ ★

تبه دلالاً فأنت أهلٌ لذاكا
وتحكّم فالحسنُ قد أعطاكَا
ولك الأمرُ فاقضِ ما أنت قاضٍ
فعليّ الجمالُ قد ولّاكَا
وبما شئتَ في هواكَ اختبرني
فاختباري ما كان فيه رضاكَا
فعلى كلِّ حالة أنت منّي
بيّ أولى، إذ لم أكن لولاكَا!
وكفّاني عزّاً بحبِّك ذلّي
وخضوعي ولست من أكفاكَا
فاتّهامي بالحبِّ حبي وأنّي
بين قومي أعْدُ من قتلاكَا
لك في الحيّ هالكٌ بك حيّ
في سبيل الهوى استلذّ الهلاكَا
شنع المرجفون عنك بهجري
وأشاعوا أنّي سلوتُ هواكَا

ما بأحشائهم عشقت فأسلو
عنك يومًا. دَغ يهجرُوا حاشاكَا
كيف أسلُوا ومقلتني كَلَمَا لاح
بَرِيقٌ تلفتت للققاكَا
إن تنسَمْتُ تحت ضوء لثام
أو تنسَمْتُ الرِّيح من أنبأكَا
طِبتُ نَفْسًا إذ لاح صبحُ ثنايَا
ك. لعيني وفاح طيب شذاكَا
كلُّ مَنْ في حماك يهواك لكن
أنا وحدي بكلِّ مَنْ في حماكَا!



غيري على السلوان قادرُ
وسواي في العشاق غادر
لي في الغرام سريرة
والله أعلم بالسرائر
ومشبهه بالفصن قلبي (م)
لا يزال عليه طائر
حلو الحديث وإنهيا
لحلاوة شقت مسرائر

أشكرو وأشكرو فاعلمه
 فاعجب لشاك منه شاكر
 لا تنكروا خفقان قلبي (م)
 والحبيب لذي حاضره
 ما القلب سبب إلا داره
 ضربت له فيها البشائر
 يا تارك في حبه
 مثلاً من الأمثال سائر
 أبداً حديثي ليس بال
 منسوخ إلا في الدفاتر
 يا ليل مالك آخر
 يرجى ولا للشوق آخر
 يا ليل طل يا شوق دُم
 إني على الحالين صابر

★ ★ ★

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
 فما اختاره مضمي به وله عقل
 وعش خاليًا فالحب راحته عنا
 وأوليه سقم وآخره قتل

أروع ما قيل في الزهد والتصوف - م ٨

ولكنْ لَدَيَّ المَوْتُ فِيهِ صِبَابَةٌ
حَيَاةٌ لِمَن أَهْوَى عَلَيَّ بِهَا الْفَضْلُ
نصحتُكَ عِلْمًا بِالْهَوَى وَالَّذِي أَرَى
مُخَالَفَتِي، فَاخْتَرُ لِنَفْسِكَ مَا يَحْلُو
فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَمُتْ بِهِ
شَهِيدًا وَإِلَّا فَالْغَرَامُ لَهُ أَهْلُ
فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي حُبِّهِ لَمْ يَعِشْ بِهِ
وَدُونَ اجْتِنَاءِ النَّحْلِ مَا جَنَّتِ النَّحْلُ
تَمَسَّكَ بِأَذْيَالِ الْهَوَى وَاخْلَعِ الْحَيَا
وَحُلَّ سَبِيلَ النَّاسِكِينَ وَإِنْ جَلَّوْا
وَقُلْ لِقَتِيلِ الْحُبِّ وَقَيْتِ حَقِّهِ
وَلِلْمَدَّعِي هِيَهَاتَ مَا الْكَحَلُ الْكُحْلُ
تَعَرَّضْ قَوْمٌ لِلْغَرَامِ وَأَعْرَضُوا
بِجَانِبِهِمْ عَنْ صَحْتِي فِيهِ وَاعْتَلَّوْا
رَضُوا بِالْأُمَانِي وَابْتَلَوْا بِحُظُوظِهِمْ
وَخَاضُوا بِحَارِ الْحُبِّ دَعْوَى فَمَا ابْتَلَوْا
فَهُمْ فِي السَّرَى لَمْ يَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِهِمْ
وَمَا ظَنُّوا فِي السَّيْرِ عَنْهُ وَقَدْ كَلَّوْا

حنين إلى اللقاء

أرجُ النسيم سرى من الزوراء^(١) سَحَرًا فَأَحْيَا مَيِّتَ الْأَحْيَاءِ^(١)
... فسكِرتُ من ريا حواشي برده^(٢) وسرت حُمَيَّا الْبُرءِ فِي أَدَوَائِي^(٢)
كَلِمَ السُّهَادُ جَفُونَهُ فَتَبَادَرَتْ عِبْرَاتُهُ مَمْرُوجَةً بِدُمَاءِ^(٣)
وَاحْشِرْتِي! ضَاعَ الزَّمَانُ وَلَمْ أَفْزِ مِنْكُمْ أَهْيَلْ مَوَدَّتِي بَلْقَاءِ
إِنْ يَنْقُضِي صَبْرِي فَلَيْسَ بِمَنْقُضٍ وَجَدِي الْقَدِيمُ بِكُمْ وَلَا بَرَحَائِي^(٤)
وَحَيَاتِكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ، وَهِيَ لِي قَسَمٌ، لَقَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ أَحْشَائِي
حَيِّكُمْ فِي النَّاسِ أَضْحَى مَذْهَبِي وَهَوَاكُمُ دِينِي وَعَقْدُ وَلَائِي
وَكَفَى غَرَامًا أَنْ أَيْتَ مُتِمًّا شَوْقِي أَمَامِي وَالْقَضَاءُ وَرَائِي^(٥)

★ ★ ★

(١) الزوراء: اسم لبغداد، وموضع بالمدينة قرب المسجد وهو الغالب هنا، وربما قصد بها الحقيقة المحمدية، وقد كنى بأرج النسيم عن انتشار ما تحمله الروح من المعارف الالهية. أحياء: أي بالحياة الأبدية.

(٢) الحميا: سورة الكأس أو اسكارها، الأدوية: جمع داء.

(٣) هنا يستأنف الحديث عن نفسه بضمير الغيبة.

(٤) البرحاء: الشدة. تتجاذب الشاعر قوتان: الصبر والوجد، والوجد حال أذوم.

(٥) انه بين شوق يحدوه إلى الحبيب الذي هو الحق، وقضاء محتوم يتحكم به.

خمريته وشرحها للشيخ حسن البوريني

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرَمُ

(شربنا) أي معاشر السالكين في طريق الله تعالى. (على ذكر الحبيب) أي المحبوب وهو الحق تعالى. وقد يُراد (بالذكر) الذكر باللسان أو بالقلب والجنان. وأشار إلى أن ذكر الله عنده من أقوى أسباب الطرب. (مدامة) أي خمرة. والمعنى هنا شراب المحبة الالهية الناشئة من شهود آثار الأسماء الجمالية العلية. وقوله (سكرنا) أي غبنا لذة وطرباً بنشأة تلك الخمرة. قوله (من قبل أن يخلق الكرم) يشير إلى قول القائل: أَلَسْتُ أَنَا رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْكَرَمَ إِلَى الْوُجُودِ.

لَهَا الْبَدْرُ كَأْسٌ وَهِيَ شَمْسٌ يُدِيرُهَا هِلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمٌ

هذا البيت عجيب في بابه فإنه مشتمل على ذكر ألفاظ يناسب بعضها بعضاً وهي البدر والشمس والهلال والنجم وكذلك الكأس والإدارة والمزج. وقوله: لها البدر كأسٌ أي قلب العالم المحقق العامل. (وهي شمس) أي المدامة المراد بها المعرفة الالهية التي تفيض أنوارها في جميع الكائنات تشبه الشمس في طلوعها وإشراقها. وقوله: يديرها أي ينشر أسماء تلك الحضرة الالهية وصفاتها. وقوله هلالٌ هو ذاك البدر إلا أنه مُحتجب.

وَلَوْلَا شَذَاهَا مَا أَهْتَدَيْتُ لِحَانِهَا وَلَوْلَا سَنَاهَا مَا تَصَوَّرْتُهَا أَلَوْهَمُ

يقول: لولا روائح تلك الحضرات لما اهتديت إلى الأسماء الحُسنى والصفات العليا لأن عبيرها عطر الأكوان. وقوله: لولا سناها الخ كنى به عن النور الروحاني الذي بضوءه ادرك الانسان حقيقة الوجود الالهي.

وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ كَأَنَّ خَفَاهَا فِي صُدُورِ النَّهْيِ كَتَمُ

يقول: ان زخارف الدنيا تشغل القلوب الغافلة عن النهوض الى شهود تجليات الحق. ويشبه خفاء تلك الحقيقة عند العقول البشرية خفاء الأسرار وكنمها في صدور الذين أوتوا العلم الالهي.

فَإِنْ ذُكِرَتْ فِي الْحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ نَشَاوَى وَلَا عَارَ عَلَيْهِمْ وَلَا إِثْمُ

يعني ان ذكرت تلك الحضرة عند المتأهلين بالاستعداد لقبول انوار الفيض الرباني فيصبحون سكارى ويغيبون عن أوهامهم في التحقق بمعاني الجلال.

وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ الدُّنْيَانِ تَصَاعَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا أَسْمُ

يقول: إنه بتقاصر الهمم الروحانية على نيل هذه المدامة ولانحراف قلوب البشر اختفت العلوم الالهية شيئاً فشيئاً من صدور الرجال حتى توارت ولم يبق منها إلا الاسم.

قد جمع الشاعر أوصافه عز وجلّ فإن هذه الصفات باعتبار تجلّي حقيقتها الغيبية عليه ظاهرة له بأربعة أوصاف: الصفاء واللطف والضياء والروح. فهي روح مجرد عن كثافات العناصر الأربعة بعيدة عن كل جسم حسي.

تَقْدَمُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمًا وَلَا شَكْلَ هُنَاكَ وَلَا رَسْمُ

يُريد أن وجود الله قد سبق وجود الكائنات بأجمعها قبلما تبدع الصور الحسية في عالم الكون

وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ ثُمَّ لِحِكْمَةٍ بِهَا اخْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَا لَهُ فَهْمٌ

أي بواسطة هذه الحكمة قد خلقت الكائنات وإنما قد خفيت عن الخطاة والذين لم يدركوا الالهيات.

وَهَامَتْ بِهَا رُوحِي بِحَيْثُ تَمَازَجًا اتِّحَادًا وَلَا جِرْمٌ تَخَلَّلَهُ جِرْمٌ

يقول انه لفرط شغفه بهذه الحكمة الربانية قد كاد يستحيل إليها:

وَلَا قَبْلَهَا قَبْلٌ وَلَا بَعْدَ بَعْدَهَا وَقَبْلِيَّةَ الْأَبْعَادِ فَهِيَ لَهَا حَتْمٌ

وَقَالُوا شَرِبْتَ الْإِثْمَ كَلَّا وَإِنَّمَا شَرِبْتُ الَّتِي فِي تَرْكِهَا عِنْدِي الْإِثْمُ

إن هذا البيت ردٌّ على من اتهمه بشرب الخمرة فيقول ان سكره لا بالخمرة المعتصرة من العنب بل بالعزة الالهية التي هام بحبها.

هَنِيئًا لِأَهْلِ الدَّيْرِ كَمْ سَكِرُوا بِهَا وَمَا شَرَبُوا مِنْهَا وَلَكِنَّهُمْ هَمُّوا

يقول انه يستطوب الرهبان والعباد الذين شربوا من هذه المدامة بل رغبوا الى مشاهدة الجمال الالهي.

وَعِنْدِي مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشَأَتِي مَعِيَ أَبَدًا تَبْقَى وَإِنْ بَلِيَ الْعَظْمُ

يقول إن قلبه تشرب محبة الله فلا يعدمها وان فاجأته المنية.

فَمَا سَكَنْتُ وَالْهَمَّ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ كَذَلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَعَ النَّعْمِ الْغَمُّ

فَلَا عَيْشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِبًا وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سُكْرًا بِهَا فَاتَهُ الْحَزْمُ

عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْتَكَ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمٌ

هذا القول إغراء بشرب هذه المدامة السماوية التي أضحت مبدأ كل سرور

فإنها حيثما حلت تضحل أكدار العالم وخطوب الدهر .

وَإِنْ خَطَرَتْ يَوْمًا عَلَى خَاطِرِ أَمْرِي أَقَامَتْ بِهِ الْأَفْرَاحُ وَارْتَحَلَ آلَهُمُ

يقول ان تجلي العزة الالهية يبدد كل غم ويشمل القلوب بكل فرح

وَلَوْ نَظَرَ النَّدَمَانُ خَتَمَ إِنَائِهَا لَا سَكَرَهُمْ مِنْ دُونِهَا ذَلِكَ الْخَتَمُ

يقول ان أثر التجلي الرباني في قلب السالكين جدير بتبديد سقامهم

وَلَوْ نَضَحُوا مِنْهَا ثَرَى قَبْرِ مَيِّتٍ	لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَأَنْتَعَشَ الْجِسْمُ
وَلَوْ طَرَحُوا فِي فِيءٍ حَائِطِ كَرَمِهَا	عَلِيلًا وَقَدْ أَشْفَى لِفَارَقِهِ السُّقْمُ
وَلَوْ قَرَّبُوا مِنْ حَانِئِهَا مُقْعَدًا مَشَى	وَتَنَطَّقُ مِنْ ذِكْرِي مَذَاقَتِهَا الْبُكْمُ
وَلَوْ عَبَقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طَيْبِهَا	وَفِي الْغَرْبِ مَزْكُومٌ لِعَادَلِهِ الشَّمُ
وَلَوْ خُضِبَتْ مِنْ كَأْسِهَا كَفًّا لَامِسٍ	لَمَّا ضَلَّ فِي لَيْلٍ وَفِي يَدِهِ النَّجْمُ
وَلَوْ جُلِيَتْ سِرًّا عَلَى أَكْمِهِ غَدَا	بَصِيرًا وَمِنْ رَاوُوقِهَا تَسْمَعُ الصَّمُ
وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمَّمُوا تُرْبَ أَرْضِهَا	وَفِي الرِّكْبِ مَلْسُوعٌ لَمَّا ضَرَّهُ السَّمُ
وَلَوْ رَسَمَ الرَّاقِي حُرُوفَ أَسْمِهَا عَلَى	جَبِينٍ مُصَابٍ جُنَّ أَبْرَاهُ الرِّسْمُ
وَفَوْقَ لِيَوَاءِ الْجَيْشِ لَوْ رَقِمَ أَسْمُهَا	لَأَسْكَرَ مَنْ تَحْتَ اللَّوَا ذَلِكَ الرِّقْمُ
تَهْدَبُ أَخْلَاقَ النَّدَامَى فَيَهْتَدِي	بِهَا لِطَرِيقِ الْعَزْمِ مَنْ لَا لَهُ عَزْمُ
وَيَكْرُمُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجُودَ كَفَّهُ	وَيَحْلُمُ عِنْدَ الْغَيْظِ مَنْ لَا لَهُ حِلْمُ
وَلَوْ نَالَ قَدَمُ الْقَوْمِ لَشَمَ فِدَامِهَا	لَأَكْسَبَهُ مَعْنَى شَمَائِلِهَا اللَّشْمُ

أراد الشاعر بهذه الأبيات صفة ما تنتجه الحضرة الإلهية في البشر وذوي

العاهات من براء لسقامهم ان شملت قلوبهم الحقائق العرفانية وان أرادوا نهج المسالك الربانية.

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا خَيْرٌ. أَجَلٌ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمٌ
صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَاً وَتُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمٌ

★ ★ ★

الفناء والمشاهدة

تجلي المحبوب الحقيقي:

سقتني حُمَيَا الحبِّ راحة مقلتي وكأسي محيًّا من عن الحسن جلَّتْ^(١)
فكلُّ مليحٍ حُسْنُهُ من جمالها معارٌّ له، بل حسنٌ كل مليحةٍ
وما ذاكَ إلا ان بدت بمظاهري فظنوا سواها وهي فيها تجلَّتْ
بدت باحتجابٍ، واختفت بمظاهري على صبغ التلوين في كل برزةٍ
وما برحت تبدو وتخفي، لعلية، على حسب الأوقات، في كل حقبةٍ
وتظهرُ للعشاق في كل مظهر من اللبس في أشكال حسنٍ بديعةٍ
ولسنَ سواها، لا، ولا كنَّ غيرها وما ان لها في حُسْنها من شريكة^(٢)

(١) فيه رجوع إلى الحب والخمر والكأس. أما قوله ان المحبوبة جلَّت عن الحسن، فمراده به ان الحق المطلق فوق الجمال لا يناله وصف الواصفين.

(٢) يريد: ان مظاهر الجمال كلها، على تنوعها، إنما هي فروع من جمال الروح الالهي الحبيب، وهو مخفي وراء الحجب والأصباغ والأشكال. وما روعة الوجود غير روعته تعالى، وليس له في كماله شريك.

الحب في طوره الأول:

هَبِي، قَبْلَ يُفْنِي الحُبُّ مِنِّي بَقِيَّةً
فَعِنْدِي لِسْكَرِي فَاقَةً لِإِفْاقَةٍ
وَلَمْ أَحْكُ فِي حُبِّكَ حَالِي تَبَرُّمًا
وَيَمْنَعْنِي شَكْوَايَ حُسْنُ تَصَبُّرِي
وَمَا حَلَّ بِي مِنْ مَحْنَةٍ فَهُوَ مَنَحَةٌ
وَكُلُّ أَدَى فِي الحُبِّ مِنْكَ إِذَا بَدَا

أَرَاكِ بِهَا، لِي نَظْرَةٌ الْمُتَفَلِّتِ
لَهَا كَبْدِي، لَوْلَا الهَوَى، لَمْ تَفْتَتِ
بِهَا لِاضْطِرَابٍ، بَلْ بِتَنْفِيسِ كَرِبَتِي
وَلَوْ أَشْكُ لِلْأَعْدَاءِ مَا بِي لِأَشْكْتِ
وَقَدْ سَلِمْتَ مِنْ حَلٍّ عَقْدٍ عَزِيمَتِي
جَعَلْتُ لَهُ شُكْرِي وَكَانَ شَكِّي^(١)

الموت في المحبة حياة:

فَلَمْ تَهُونِي، مَا لَمْ تَكُنْ فِيَّ فَانِيًا،
وَجَانِبُ جَنَابِ الوَصْلِ، هِيَهَاتَ لَمْ يَكُنْ
هُوَ الحُبُّ، إِنْ لَمْ تَقْضِ، لَمْ تَقْضِ مَأْرِبًا

وَلَمْ تَفْنِ، مَا لَا تَجْتَلِي فِيكَ صُورَتِي^(٢)
وَهَا أَنْتَ حَيٌّ، إِنْ تَكُنْ صَادِقًا مُتَّ^(٣)
مِنَ الحُبِّ، فَاخْتَرِ ذَاكَ أَوْ خَلِّ خُلَّتِي^(٤)

الفناء سبيل الصفاء:

فَأَفْنَى الهَوَى مَا لَمْ يَكُنْ ثَمَّ بَاقِيًا هُنَا مِنْ صِفَاتِ بَيْنِنَا فَاضْمَحَلَّتِ^(٥)

(١) يخاطب المحبوبة يسألها أن تمن عليه برؤيتها قبل أن يعروه الفناء. ويلتمس العذر عن شكواه مما يعاني من ألم هواه. ولو أنه أفضى بالسر الذي يبرحه للعدو لرق العدو لحاله. وهو في ذلك كله متصبر راض يعد الألم هبة. وهذه هي لذة الألم.

(٢) لا يسمى الحب كذلك إلا إذا تم الفناء في المحبوبة، ولا يكون ما لم تتضح في نفس العاشق صورة معشوقه الأسمى.

(٣) جانب: حاذر. جناب: قرب، ومراده: لا يكون وصل إلا بالموت، إذ الحياة وعي واقتراب من عالم الظلال المحسوس.

(٤) الخلّة: المصادقة، والخلّة: ضرب من الشجر الشائك؛ والمعنى يستقيم في الاحتمالين، والأول هو الأرجح، فيكون مقصوده: فاما أن تموت وإما أن تدعني وشأني.

(٥) بالحب زالت الصفات الجسمانية التي هي الحجب الفاصلة ما بينه وبين محبوبته.

فألفيتُ ما ألفيتُ عنيَ صادراً إليَّ ومني وارداً بمزِيدتي^(١)
وشاهدتُ نفسي بالصفات التي بها تحجبتُ عني في شهودي وحجبتني
واني التي أحببتها لا محالة وكانت لها نفسي عليّ محيلتي^(٢)

من الوجود إلى الشهود :

جلتُ في تجليها الوجودَ لناظري ففي كل مرئيٍّ أراها برؤية^(٣)
وأشهدتُ غيبي إذ بدت، فوجدتني، هنالك، إياها بجلوة خلوتي^(٤)
وطاحَ وجودي في شهودي، وبنتُ عن وجود شهودي ماحياً غير مثبت^(٥)
وعانقتُ ما شاهدتُ في محو شاهدي بمشهدة للصحو من بعد سكرتي^(٦)
فصرتُ حياً بل محباً لنفسه وليس كقولٍ مرّاً: نفسي حبيتي

وحدة الوجود :

أروحُ بفقدٍ بالشهود مؤلفي وأغدو بوجدٍ بالوجود مُشتي^(٧)

-
- (١) يريد : انه هو البداية والمصدر ، وهو المنتهى والمآل .
(٢) بعد ارتفاع الحجب تكشفت ذاته لذاته ، واتضح له ما كان قد شبه له والتبس عليه .
(٣) هي التي أظهرت الوجود لناظريه فبات يراها في كل موجود .
(٤) يقول : ولما تجلت عرفت أن ذاتي هي عين ذات المحبوبة .
(٥) طاح به : ذهب به وأفناه ؛ بنت : من بان ، أي بعدَ وشط . ومراده : أن وجود الشاعر قد امحى في المحبوبة التي شاهدها . والمحو وجود سلبي مختلف عن الإثبات الذي هو الوجود المحسوس خاصة .
(٦) لقد تحصل له صحو رائع بعد السكر الذي انتشى به مما شاهده في باطنه ؛ ومرد هذا الصحو الى أن المحبوبة هي الوجود المطلق . والصحو يعقب السكر ، والسكر أعلى درجات الغيبة .
(٧) يقصد ان الوجد يشعره بوجود ذاته ويبعده بالتالي عن محبوبته ، وان الشهود يفقده هذا الشعور .

يفرقني لبي التزاماً بمحضري ويجمعني سلمي اصطلاماً بغيبتي^(١)
إخال حضيضي الصحو، والسكر معرجي إليها، ومحوي منتهى قابٍ سدرتي^(٢)
وشفعٌ وجودي في شهودي ظلّ في اتـ حاديّ وترّاً في تيقظ غفوتي^(٣)
تعانقتِ الأطرافُ عندي وانطوى بساط السوى عدلاً بحكم السوية^(٤)

القطبية مصدر الوجود:

فبي دارتِ الأفلاكُ فاعجب لقطبها الـ محيط، فإنّ القطبَ مركزُ نقطة^(٥)
وكلهمُ عن سبقٍ معنّاي دائرٌ بدائرتي، أو واردٌ من شريعتي



-
- (١) اصطلاماً: مصدر من اصطلم، أي استأصل. هذا البيت تنمة لسابقه؛ يريد فيه: أن العقل هو سبب التفرقة، وأن الجمع والاتحاد لا يتمان إلا في حالة الغيبة.
- (٢) معرج: مرقاة؛ قاب: قرب؛ سدرة: من قولهم سدرة المنتهى، وهي شجرة نبق غن يمين عرش الرب، فيستقيم في هذه الرحلة الروحية أن أولها الحضيض وآخرها الاتحاد بالمحجوب الالهي.
- (٣) الشفع: من شفع الشيء صيره زوجاً بعد أن كان واحداً؛ الوتر: الواحد؛ يرى أن غيبوبته بذاتها هي اليقظة الواعية ومراده: أن وجوده وشهوده ظلاً متمايزين حتى كانت غفوته اليقظة، فكان الاتحاد.
- (٤) أي: تجمع ما كان شتياً، ولم يعد تمت تمييز بين الانية والغيرية، بين المحبوبة والشاعر إذ انهما قد تساويا في معادلة الوجود.
- (٥) كان الانسان الكامل قطباً حياً أو «تدأ» ثم أصبح قطباً معنوياً تدور على محوره الأفلاك. وتراه يكتني به عن الحقيقة القديمة الشاملة.

أنا القليل بلا إثم ولا حرج

ما بَيْنَ مُعْتَرِكِ الْأَخْدَاقِ وَالْمُهَاجِرِ
 وَدَعْتُ قَبْلَ الْهَوَى رُوحِي لِمَا نَظَرْتُ
 لِلَّهِ أَجْفَانُ عَيْنٍ فِيكَ سَاهِرَةٌ
 وَأَضْلَعُ نَحِلَتْ كَادَتْ تُقَوِّمُهَا
 وَأَدْمَعُ هَمَلْتُ، لَوْلَا التَّنَفُّسُ مِنْ
 وَحْبَا فِيكَ أَسْقَامٌ خَفِيَتْ بِهَا
 أَصْبَحْتُ فِيكَ كَمَا أُمِسْتُ مُكْتَبًا
 أَهْفُو إِلَى كُلِّ قَلْبٍ بِالْغَرَامِ لَهُ
 وَكُلُّ سَمْعٍ عَنِ الْإِلَاحِي بِهِ صَمَمٌ
 لَا كَانَ وَجَدَ بِهِ الْآمَاقُ جَامِدَةً
 عَذَّبَ بِمَا شِئْتَ غَيْرَ الْبُعْدِ عَنْكَ تَجِدُ
 أَنَا الْقَلِيلُ بِلَا إِثْمٍ وَلَا حَرَجٍ^(١)
 عَيْنَايَ مِنْ حُسْنِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ الْبُهْجِ
 شَوْقًا إِلَيْكَ وَقَلْبًا بِالْغَرَامِ شَجٍ^(٢)
 مِنَ الْجَوَى كَيْدِي الْحَرَى مِنَ الْعِوَجِ^(٣)
 نَارِ الْهَوَى لَمْ أَكْذُ أَنْجُو مِنَ اللَّجَجِ^(٤)
 عَنِي تَقَوْمٌ بِهَا عِنْدَ الْهَوَى حُجَجِي
 وَلَمْ أَقُلْ جَزَعًا يَا أَرْمَةُ انْفِرَجِي
 شُغْلٌ وَكُلُّ لِسَانٍ بِالْهَوَى لَهَجٍ^(٥)
 وَكُلُّ جَفْنٍ إِلَى الْإِغْفَاءِ لَمْ يَعْجِ^(٦)
 وَلَا غَرَامٌ بِهِ الْأَشْوَاقُ لَمْ تَهْجِ^(٧)
 أَوْفَى مُحِبٍّ بِمَا يُرْضِيكَ مُبْتَهَجٍ

(١) المعترك: مكان الاعتراك، القتال. الأخداق: جمع حدقة، وهي العين. المهج: جمع مهجة، وهي دم القلب. الاثم: الذنب. الحرج: الاثم والذنب.

(٢) الشجي: الحزين.

(٣) نحلت: هزلت. الجوى: شدة الوجد. الحرى: الكثيرة الحرارة.

(٤) هملت: انصببت. اللجج: جمع لجة: معظم الماء.

(٥) أهفو: أميل. لهج بالشئ: أكثر من ذكره.

(٦) لم يعج: لم يعمل.

(٧) الآماق: أراد العيون. جامدة: أي لا يسيل دمعها. لم تهج، لم تثر، لم تضطرم.

وَخُذْ بَقِيَّةَ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ رَمَقٍ
 مَنْ لِي بِإِتْلَافِ رُوحِي فِي هَوَى رَشَاءٍ
 مَنْ مَاتَ فِيهِ غَرَامًا عَاشَ مُرْتَقِيًا
 مُحَجَّبٌ لَوْ سَرَى فِي مِثْلِ طُرَّتِهِ
 وَإِنْ ضَلَلْتُ يَلِيلٍ مِنْ ذَوَائِبِهِ
 وَإِنْ تَنَفَّسَ قَالَ الْمِسْكُ مُعْتَرِفًا
 أَعْوَامُ إِقْبَالِهِ كَالْيَوْمِ فِي قِصَرٍ
 فَإِنْ نَأَى سَائِرًا يَا مُهْجَتِي ارْتَحِلِي
 قَلْ لِلَّذِي لَامَنِي فِيهِ وَعَنَّفَنِي
 فَاللَّوْمُ لَوْمْ وَلَمْ يُمَدِّحْ بِهِ أَحَدٌ
 يَا سَاكِنَ الْقَلْبِ لَا تَنْظُرْ إِلَى سَكْنِي
 يَا صَاحِبِي وَأَنَا الْبَرُّ الرُّؤُوفُ وَقَدْ
 فِيهِ خَلَعْتُ عِذَارِي وَاطَّرَحْتُ بِهِ
 وَابْيَضَّ وَجْهُ غَرَامِي فِي مَحَبَّتِهِ

لَا خَيْرَ فِي الْحُبِّ إِنْ أَبْقَى عَلَى الْمُهْجِ (١)
 حُلُو الشَّمَائِلِ بِالْأَرْوَاحِ مُمْتَزَجِ (٢)
 مَا بَيْنَ أَهْلِ الْهَوَى فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ
 أَغْنَتْهُ غُرَّتُهُ الْغَرَاءَ عَنِ السُّرُجِ (٣)
 أَهْدَى لِعَيْنِي الْهَدَى صُبْحَ مِنَ الْبَلَجِ (٤)
 لِعَارِفِي طَيْبِهِ: مِنْ نَشْرِهِ أَرْجِي
 وَيَوْمَ إِعْرَاضِهِ فِي الطُّولِ كَالْحِجَجِ (٥)
 وَإِنْ دَنَا زَائِرًا يَا مُقْلَتِي ابْتَهَجِي
 دَعْنِي وَشَأْنِي وَعُدَّ عَنْ نُصْحِكَ السَّمَجِ
 وَهَلْ رَأَيْتَ مُحِبًّا بِالْغَرَامِ هُجِي؟
 وَارْبِعْ فَوَادَكَ وَاحْذَرْ فِتْنَةَ الدَّعَجِ (٦)
 بَذَلْتُ نُصْحِي بِذَاكَ الْحَيَّ لَا تَعْجِ
 قَبُولَ نُسْكِي وَالْمَقْبُولَ مِنْ حِجَجِي (٧)
 وَاسْوَدَّ وَجْهُ مَلَامِي فِيهِ بِالْحُجَجِ

(١) الرَّمَقُ: بَقِيَّةُ الرُّوحِ.

(٢) الرَّشَاءُ: وَلَدُ الْغَزَالِ.

(٣) الطُّرَّةُ: شَعْرُ النَّاصِيَةِ. غُرَّتُهُ الْغَرَاءُ: وَجْهُهُ الْحَسَنُ. السُّرُجُ: جَمْعُ سَرَاجٍ، وَهُوَ إِنْءَاءُ يُنَارُ بِفَتِيلٍ مَغْمُوسٍ بِالزَّيْتِ.

(٤) الذَوَائِبُ: جَمْعُ ذَوَابَةٍ، وَهِيَ خَصْلَةُ الشَّعْرِ. الْبَلَجُ: أَرَادَ بِهِ الْجَبِينَ الْمَشْرُقَ.

(٥) الْحِجَجُ: جَمْعُ حِجَّةٍ، وَهِيَ السَّنَةُ.

(٦) الدَّعَجُ: سَوَادُ الْعَيْنِ مَعَ سَعَتِهَا.

(٧) خَلَعْتُ عِذَارِي: كَنَانِيَةَ عَنِ التَّهْتِكِ. مِنْ حِجَجِي: أَيُّ مَنْ حَجَّ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ. وَالْحِجَجُ جَمْعُ حِجَّةٍ.

تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَهْلَى شَمَائِلُهُ
يَهْوَى لِذِكْرِ اسْمِهِ مَنْ لَجَّ فِي عَذْلِي
وَأَرْحَمُ الْبَرْقِ فِي مَسْرَاهُ، مُتَسَبِّحًا
تَرَاهُ إِنْ غَابَ عَنِّي كُلُّ جَارِحَةٍ
فِي نَعْمَةِ الْعُودِ وَالنَّايِ الرَّخِيمِ إِذَا
وَفِي مَسَارِحِ غَزْلَانِ الْخَمَائِلِ فِي
وَفِي مَسَاقِطِ أَنْدَاءِ الْغَمَامِ عَلَى
وَفِي مَسَاحِبِ أَذْيَالِ النَّسِيمِ إِذَا
وَفِي التِّثَامِيِّ ثَغْرِ الْكَأْسِ مُرْتَشِفًا
لَمْ أَذْرِ مَا غُرْبَةُ الْأَوْطَانِ وَهُوَ مَعِي
فَالدَّارُ دَارِي وَحُبِّي حَاضِرٌ وَمَتَى
لِيَهْنَ رَكْبٌ سَرَوْا لَيْلًا وَأَنْتَ بِهِمْ
فَلْيَصْنَعْ الرَّكْبُ مَا شَاؤُوا بِأَنْفُسِهِمْ
بِحَقِّ عِصْيَانِي اللَّاحِي عَلَيْكَ وَمَا
أَنْظُرُ إِلَى كَيْدٍ ذَابَتْ عَلَيْكَ جَوَى

فَكَمْ أَمَاتَتْ وَأَحْيَتْ فِيهِ مِنْ مُهَجٍ
سَمْعِي وَإِنْ كَانَ عَذْلِي فِيهِ لَمْ يَلِجْ^(١)
لِثَغْرِهِ وَهُوَ مُسْتَخِي مِنْ الْفَلَجِ^(٢)
فِي كُلِّ مَعْنَى لَطِيفٍ رَائِقٍ يَهْجُ
تَأَلَّفَا بَيْنَ الْهَزَجِ مِنَ الْهَزَجِ^(٣)
بَرْدِ الْأَصَائِلِ وَالْإِصْبَاحِ فِي الْبَلَجِ^(٤)
بِسَاطِ نَوْرِ مِنَ الْأَزْهَارِ مُتَسَبِّحٍ
أَهْدَى إِلَيَّ سُخَيْرًا أَطِيبَ الْأَرْجِ
رَيْقَ الْمُدَامَةِ، فِي مُسْتَنْزِهِ فَرَجٍ^(٥)
وَخَاطِرِي أَيْنَ كُنَّا غَيْرُ مُنْزَعِجٍ
بَدَا فَمُنْعَرَجُ الْجُرْعَاءِ مُنْعَرَجِي^(٦)
بَسِيرِهِمْ فِي صَبَاحٍ، مِنْكَ، مُنْبَلِجٍ
هُمْ أَهْلُ بَدْرِ فَلَا يَخْشَوْنَ مِنْ حَرَجٍ
بِأُضْلَعِي طَاعَةً لِلْوَجْدِ مِنْ وَهَجٍ
وَمُقْلَةٍ مِنْ نَجِيعِ الدَّمْعِ فِي لُجِجٍ

(١) لَجَّ: أَلَحَّ وَاجْتَهَدَ. لَمْ يَلِجْ: لَمْ يَدْخُلْ.

(٢) الْفَلَجُ: التَّبَاعُدُ بَيْنَ الْأَسْنَانِ.

(٣) الْهَزَجُ: نَوْعٌ مِنَ الْأَغَانِي الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَفِيهِ تَرْتُّمٌ.

(٤) الْأَصَائِلُ: جَمْعُ أَصِيلٍ: وَهُوَ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى الْغُرُوبِ.

(٥) فَرَجٌ: يَشْرَحُ الصَّدْرَ.

(٦) الْمُنْعَرَجُ: مَكَانُ انْعِرَاجِ الْوَادِي. الْجُرْعَاءُ: الرَّمْلَةُ الطَّيِّبَةُ.

وارْحَمْ تَعَثَّرَ آمَالِي، وَمُرْتَجِعِي إِلَى خِدَاعِ تَمَنِّي الوَعْدِ بِالْفَرَجِ
واعْطِفْ عَلَى ذُلِّ أَطْمَاعِي بِهَلْ وَعَسَى وَامْنُنْ عَلَيَّ بِشَرْحِ الصَّدْرِ مِنْ حَرَجِ
أَهْلًا بِمَا لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِمَوْقِعِهِ قَوْلِ الْمُبَشِّرِ، بَعْدَ الْيَأْسِ، بِالْفَرَجِ
لَكَ الْبِشَارَةُ، فَاخْلَعْ مَا عَلَيْكَ، فَقَدْ ذُكِرْتَ ثُمَّ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عِوَجِ

★ ★ ★

سائق الأظعان (*)

سَائِقَ الْأَظْعَانِ يَطْوِي الْبَيْدَ طَيَّ(١)
وبذاتِ الشَّيْخِ عَنِّي إِنْ مَرَّرَ(٢)
وتلطف واجرِ ذكري عندهم
قُلْ: تَرَكْتُ الصَّبَّ فِيكُمْ شَبْحًا
خَافِيًا عَنْ عَائِدٍ لَاحَ كَمَا
صَارَ وَصَفُ الضَّرِّ ذَاتِيًا لَهُ
بَيْنَ أَهْلِيهِ غَرِيبًا نَازِحًا
منِعِمَّا عَرَجُ عَلَى كَثْبَانِ طَيَّ(٣)
تَ بَحِيٍّ مِنْ غُرَيْبِ الْجَزَعِ حَيَّ(٤)
علهم ان ينظروا عطفًا إِلَيَّ(٥)
مَا لَهُ مِمَّا بَرَأَهُ الشُّوقُ فِيَّ(٦)
لَاخَ فِي بُرْدِيهِ بَعْدَ النُّشْرِ طَيَّ(٧)
عَنْ عَنَاءٍ، وَالْكَلَامُ الْحَيَّ لَيَّ(٨)
وعلى الأوطان لم يعطفه لَيَّ(٩)

(★) اقتبسنا شرح هذه القصيدة من كتاب «أعلام الفلسفة العربية» لكمال اليازجي وأنطوان كرم.

(١) كَثْبَانِ طَيَّ: كناية عن المقامات المحمدية يلتبس ابن الفارض الوصول إليها.

(٢) يقول: ان مررت بأظعانك في المقام المكي حيه بذات الشيخ. والمقصود بعطر الشيخ ان المحبوب كالعطر لا يرى بالأبصار.

(٣) يدعوه الى تلطيف هذه المادة ليتقرب بالتلطف الى محبوبه.

(٤) مراده: أنه قد ذاب حباً حتى اضمحل ولم يعد لجسمه ظل ينطرح.

(٥) لقد اشتد زواله وفناؤه حتى لم يبد لزاثره منه غير لمح سراب.

(٦) الضر: الهلاك: الحي: الحق؛ اللي: الباطل؛ يعود الضمير الى الصب. يريد: أن وصفه عين ذاته، وقد التبس الكلام على هذا الوصف. حتى اختلط ما كان واضحاً من قوله.

(٧) اللي: العطف؛ الأوطان: تمثل عالم الكون والفساد، إنه غريب في هذا العالم بين أهله وخلانه، لأن أثر البشرية عالق به يحول دون اتصاله بالغيب، اي بعالم المحبوب.

نشر الكاشحُ ما كان له طاوي الكشح قبيل النأي طي^(١)
 في هواكم رمضانَ عمره ينقضي ما بين إحياء وطي^(٢)
 صادياً شوقاً، لصدي طيفكم جدُّ ملتاح الى رؤيا وري^(٣)
 حائراً فيما إليه أمره صائرٌ والمرء في المحنة عي^(٤)
 والذي أرويه عن ظاهر ما باطني يزويه عن علمي زي^(٥)
 ومتى أشكو جراحاً بالحشا زيد بالشكوى اليها الجرح كي^(٦)
 سقمي من سقم أجفانكم وبمعسول الثنايا لي ذوي^(٧)
 لم يرق لي منزلٌ بعد النقا لا ولا مستحسنٌ من بعد مي^(٨)

- (١) الكاشح: من أضمر العداوة؛ وهو هنا يحمل المرء على ملذات الدنيا. وكان هذا يضر العدا قبل البعد، فلما نأى الحبيب نشر بغضه.
- (٢) يقول: صام عمره كله عن رؤية الأغيار منتظراً فيض الأسرار على قلبه والتجليات، يسهر في طاعة ليل غفلته ونهار يقظته.
- (٣) الصادي: العطشان؛ ملتاح: مشتاق؛ المعنى: قل أيها السائق إنك تركت الصب ظمآن الى طيفكم. وسبب الظمأن انه شرب من بحر التوحيد بعد أن تجلى له الحبيب، وكل من شرب من هذا البحر يظل ظامئاً اليه. ولا دواء له يروي غليله الا الاضمحلال بالكلية.
- (٤) عي: عاجز؛ ومعناه: ان هذا الصب حائر في مصيره أختتم بالسعادة؟ أختتم بالشقاء؟ وهي حيرة معجزة.
- (٥) يزوي: يسر ويطوي. يقول: لم اخترع ما أذكره لكم من المعاني الالهية. لقد تجمعت معاني الحق في باطني.
- (٦) في باطني جراح كلما شكوت ألمها ازداد قلبي اشتعلاً.
- (٧) ذوي: تصغير دواء؛ يقصد بالعين وجفونها صور الأكوان المحسوسة وقد انكسرت من بهائها الأجفان. وجعل الكسر في الأجفان تنزيهاً للحق تعالى؛ ومعسول الثنايا كناية عن حضرة الأسماء الالهية الأربعة: الحي، العالم، المريد، القادر.
- (٨) النقا: قطعة من الرمل محدودة، وهي هنا كناية عن المقام المحمدي النقي. لقد دخل الشاعر طريق الحق بعد مجاهداته في طريق السلوك، فبان له ان المقامات كلها تجتمع في المقام المحمدي. فلم يرقه شيء بعد ادراك الروعة في هذا السر المحجوب.

نحلّت جسمي نحولاً خَصَرها منه حالي، فهو أبهى حُلّتي^(١)
 عدتُ مما كابدتُ من صدّها كبدي حلف صدّي، والجفن ري^(٢)
 واجداً منذ جفا بُرّقها ناظري من قلبه في القلب كي^(٣)
 أيّ عيش مرّ لي في ظلّه أسفي إذ صارَ حظي مِنْه أي^(٤)

-
- (١) الخصر: كناية عن نفس السالك، وهي وسط بين عالميه الأرضي والإلهي؛ والنحول: الضعف.
 (٢) يقول: صدت الحبيبة فارتوى جفني بالبكاء وظلت كبدي حري صادية.
 (٣) كنى بالبرقع عما حال بينه وبين مشاهدة محبوه.
 (٤) صار حظي: فات، ولم يبق منه غير الاسي.

ابن عربي

هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الاندلسي (٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م - ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) لقَّب بالشيخ الأكبر، فيلسوف، متصوِّف. ولد في مرسية بالأندلس، وانتقل إلى إشبيلية، وزار الشام، والعراق، والحجاز. أنكر عليه المصريون « شطحات » صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، فحُبِس، ثم نجا من الحبس، فذهب إلى دمشق حيث تُوِّفِّي فيها. كان قدوة القائلين بوحدة الوجود، له نحو أربعمئة كتاب، منها « الفتوحات المكيّة »، و« محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار »، و« فصوص الحكم »، و« مفتاح الغيب »، و« التعريفات »، و« ديوان شعر ». وقد كتب عنه كثيرون قدحاً ومدحاً.

ومن قصائده الصوفيّة نقتطف ما يلي

★ ★ ★

من ترجمان الأشواق

دين :

لقد صارَ قلبي قابلاً كلّ صورةٍ فمرعى لغزلانٍ، وديرٍ لرهبانٍ^(١)

(١) يريد : ان الأحوال الصوفية قد تعاقبت على قلبه فاتخذ الله فيه أشكالاً مختلفة، فإذا قلبه يصبح مرعى للحب وديرًا للصلاة.

وبيت لأوثان، وكعبة طائف
أدين بدين الحب أنى توجهت

وألواح توراة، ومصحف قرآن^(١)
ركائبه، فالحب ديني وإيماني^(٢)

حب:

رأى البرق شرقاً فحنّ إلى الشرق
فإن غرامي بالبريق ولمحيه
روت لي الصبا عنهم حديثاً معنعناً
عن السكر، عن عقلي، عن الشوق، عن جوى

ولو لاح غريباً لحنّ إلى الغرب^(٣)
وليس غرامي بالأماكن والترب^(٤)
عن البث، عن وجدي، عن الحزن، عن كربى
عن الدمع، عن جفني، عن النار، عن قلبي

عن الدمع، عن جفني، عن النار، عن قلبي
تقلبه الانفاس جنباً إلى جنب^(٥)
هو الموقد النار التي داخل القلب
وان كان احراقاً فلا ذنب للصب^(٦)

لقاء:

طال شوقي لطفلة ذات نثرٍ ونظامٍ، ومنبرٍ، وبيان^(٧)

(١) بيت الأوثان: كناية عن الحقائق الالهية التي يسعى اليها: والطواف في الكعبة: أراد به الأرواح القدسية التي تحيط بقلبه، وألواح التوراة: العلوم الموسوية التي انتهت اليه؛ والقرآن: لما احتواه من الحكمة المحمدية.

(٢) يريد: ان الحب هو العنصر الجامع بين ما تفرق من مظاهر الحقائق والأديان.

(٣) الشرق: موضع الذات الالهية؛ والغرب: عالم الحسن والظاهرة الكونية.

(٤) لا يميل إلى هذه المظاهر الكونية المحسوسة الا بمقدار ما يتجلى فيها المعشوق الالهي.

(٥) في هذا البيت وما سبقه ما يدل على درجات التقرب والأحوال التي تتولد في حياته الشعورية.

(٦) تملكته النشوة، فإن اسدلت الحجب أرجى الاتصال، وإن ظل التجلي تم الفناء.

(٧) انه مشوق إلى التي في حوزتها الحكمة وأسرار الحق. وفي شرح ابن عربي أنه أراد أنواع =

من بنات الملوك، من دار فرسٍ
هي بنتُ العراق، بنتُ إمامي
لو ترانا برامةٍ نتعاطى
والهوى بيننا يسوقُ حديثًا
لرأيتم ما يذهبُ العقلُ فيه
حنين:

يا مَسْمًا أَحْبَبْتُ مِنْهُ الْحَبَا
يا قمرًا في شَفَقٍ، من خَفَرٍ
لو أَنَّهُ يُسْفِرُ عَنْ بَرَقَعِهِ
شمسُ ضَحَى في فلكِ طالعةٍ
ظَلَّتْ لَهَا مِنْ حَذَرٍ مَرْتَقِبًا
إِنْ طَلَعَتْ كَانَتْ لِعَيْنِي عَجَبًا
ويا رَضَابًا ذَقْتُ مِنْهُ الضَّرْبَا^(٣)
في خَدِّهِ لَاحَ لَنَا مُنْتَقِبَا
كَانَ عَذَابًا، فَلِهَذَا احْتَجَبَا
غَصْنُ نَقَى في رَوْضَةٍ قَدْ نَصَبَا^(٤)
وَالْغَصْنُ أَسْقِيَهُ سَمَاءٌ صَيَّبَا^(٥)
أَوْ غَرَبَتْ كَانَتْ لِحَيْنِي سَيِّبَا

= 'الحكمة الصوفية التي وراء حجاب' نظام الفارسية.

- (١) من بنات الملوك: لأنها متصوفة عارفة، والمتصوفون ملوك على هذه الأرض.
(٢) أراد بالعراق: القسوة والامتناع وعراقة الحكمة؛ وباليمين: الايمان، وما فيه من الحكمة الطاهرة والنفس الرحماني. وهو يقيم الطباق بين خصائص العاشق والمعشوق والأضداد قد اجتمعت في ذات الحق، فهو على حد قول ابي سعيد الكراز مجتمع الأضداد: الأول والآخر، والظاهر والمكنون.
(٣) الحبيب: المقصود به هنا ما يتفرق على اديم النفس من نفحات الحياة الالهية والعلم الالهي؛ الرضاب: أراد به علم الاتحاد وحسن طعمه في مشاعر الفؤاد.
(٤) إشارة إلى التبدل والتحول في الصور.
(٥) جعل يرتقبها قبل كل شيء في كل شيء؛ الغصن: كناية عن العلم الالهي الذي قد يسقى فيثمر به قلبه.

مُذْ عَقَدَ الْحَسَنُ عَلَى مَفْرِقِهَا تَاجًا مِنْ الْبَرِّ، عَشَقْتُ الذَّهَبَا^(١)
جمال:

طلعت بينَ أذرعَات وبُصرى بنتُ عشرٍ وأربعٍ ليَ بدرا^(٢)
قد تعالتُ على الزمانِ جلالاً وتسامت عليه كِبَرًا وفخرا
كلُّ بدرٍ إذا تناهى كمالاً جاءهُ نقصه ليُكمل شهرًا
غيرَ هذي، فما لها حركاتُ في بروجٍ، فما نشَقُّ وترا^(٣)
حُقَّةٌ أودعت عيبرًا ونشرًا روضةً أنبتت ربيعًا وزهرا^(٤)
انتهى الحسنُ فيكٍ أقصى مداهُ ما لِيوسع الأمكان مثلك أُخرى

★ ★ ★

... أنا على حُكم النوى فليس شيءٌ بيدي
مقيدٌ في وقتنا ما بين أمسٍ وغدٍ^(٥)
جسمي لُجَيْنٌ خالص حقيقتي من عسجدٍ^(٦)
كالقوسِ نشي، ولذا عينُ قوامي حَيدي^(٧)
يقول ربي: انه خلقتني في كبدٍ

- (١) يريد بالذهب التحرر من ادران العالم المحسوس.
(٢) لأن هذه الأماكن هي آخر الحدود التي بلغها النبي في سفره إلى سورية؛ وبنت أربع عشرة: دلالة على النفس الصافية الكاملة؛ لأن ١ + ٢ + ٣ + ٤ تعادل ١٠ وهي العدد الكامل. فإذا أضفنا إليها العدد ٤ ساوت ١٠ + ٤ = ١٤، وهذا ما يجاوز الكمال بكمال مضاف إليه؛ والقمر يكتمل بدرًا في الليلة الرابعة عشرة لاستهلاله.
(٣) أي: أنها في كمالها غدت مستقلة عن كل شيء إذ لا يجانسها شيء.
(٤) العبير والنشر: استعارة تدل على العلوم الالهية.
(٥) النوى: البعد؛ انه عبد الغد، والزمان العابر.
(٦) حقيقتي من عسجد: أي خالصة من المادة، فإذا هي صفت صفا الجسم أيضًا.
(٧) الحبد: الميل والاعوجاج، كأنما يريد ان المتناقضات قد اجتمعت فيه.

فكيف أرجو راحةً ما دمتُ في ذا البلد^(١)
لو لم يكن لي كفوًّا كخالقي من أحدٍ
فالنعتُ نعتٌ واحدٌ في عين ذات العدد
وانني لخالقي في خلقنا كالعدد^(٢)
طبيعة الكون له أهلٌ، وعين الأحد
بعلٌ لها، فاجتماعا على وجودي وقد^(٣)
ما قلتُ ذا عن نظري قد قام بي في خلدي
وإنما قرَّره عندي رسول الصمد
فكان يُملِّي، وأنا أكتبُ عنه بيدي^(٤)
وهكذا الأمرُ، ولا يعرفه من أحدٍ
غيرُ إمام سابقٍ بالخير، أو مُقتصدٍ^(٥)

(١) في ذا البلد : عالم الأجسام.

(٢) في الأبيات الثلاثة ان الله لا شبه له، غير أن الكون صدر عن صدور الأعداد عن الواحد، ونسبتها اليه كنسبة الأعداد الى الواحد مصدرها، وهي نظرية الاسكندرانيين، تحدت اليهم من الفيثاغوريين.

(٣) أهل : امرأة؛ عين الأحد : عين الله الواحد؛ بعل : زوج؛ يقول : يحمل جسمي خصائص الطبيعة في اخلاطها الأربعة، وتحمل روحي ما تراه عين الله وتعرف، فإذا انا سليلهما. وفيه رجوع إلى مبدأ القطبية من ان القطب قد تفرع جسده فاتخذ الكون أشكاله الجسمانية، وتفرعت روحه المنحدرة من روحه تعالى فسرت في الكائنات.

(٤) النظر : النظر الفلسفي والبرهان العقلي. يقول : هذا ما لم يشبه البرهان، وإنما قررتة تعاليم النبي في شرعه، فأملئ النبي وجعل الشاعر يدون ما أملئ عليه.

(٥) ان هذا السر لا يدركه أحد غير العارفين من أهل التصوف : أما سائر الناس فلا يرقون إلى الحال الذوقية، فقصروا عن ادراكه، وغابت عنهم الحقائق؛ وستبقى الحقيقة محجوبة عنهم إلى أن يعودوا إلى المصدر الذي انبثقوا منه.

والغيرُ لا يعرفه في الحال، بل في الأبد
وكلُّ فرعٍ راجعٌ لأصله لم يَزِدْ

وحدة وكثرة:

إلهي! إذا ناديتُ فالسمعُ أنتمو ولَبَّكَ مَنْ لَبَّكَ انت المترجمُ^(١)
توحدت الأشياءُ إذ كنتَ عينها وما ثمَّ إلا سامعٌ ومكَلَّمُ
بـ «كُنْ»، وهو قول الله، والأمرُ أمره وقد جاء في القرآنِ معناه عنكم^(٢)
تقسَّم في الاحساسِ مَنْ هو واحدٌ عزيزٌ، نزيه الذاتِ، لا يتقسَّمُ^(٣)
بإخباره عن نفسه، لا بعقلنا فيعلنُ ما عقلي به يتكلمُ^(٤)
نظرتُ إليه من قريبٍ، وانني بحدتي بعيدٌ، والحدودُ توهمُ^(٥)
إذا كان من سميتُ الغيرَ عينهُ ففي نفسه، من نفسه يتحكَّمُ^(٦)

(١) تُرجم الكلام: التبس؛ وترجم: فسر كلامه بلسان آخر. يريد: اناديك يا إلهي، وانت تسمع، فصوت ندائي صوتك، ومسمعي مسمعك، وأنت التعبير الأكمل عما يجول في نفسي، كان ملتبساً، مبهماً، فأوضحته في تجليك في الوجود.

(٢) في البدء لم يكن في الوجود إلاك. كنت المتكلم وكنت السامع: قلت للأشياء كوني فكانت، وخرجت من السديم فاتخذت شكلاً. والكائنات متحدة ما بينها لأنها متحدة من أصل واحد هو الله، أو لأن الله وهي شيء واحد. كان ذلك كله بأمره تعالى، وهذا ما جاء في القرآن الكريم.

(٣) يقول: إن الله الواحد، المنزه عن الجسمانية، قد تفرع في الكون المحسوس اجزاء ومظاهر.

(٤) تجلى الله في الكون، وتجليه أسمى تعبير لما يضمه عقلي ويعجز عن وصفه.

(٥) أنا قريب منه بذوقي وروحي، بعيد عنه لأنني في عالم الأحجام والأشكال؛ غير أن الحدود التي تفصلني عنه ليست غير أوهام الحجب المادية، فالله في الكون بأسره تراه أنني تلفت في القريب والبعيد.

(٦) تحكم: فعل ما أراد. يقول: ان كان الذي اعتبرتموه غيراً، هو الله بعينه، فمعناه ان الغير وهو شيء واحد لا فرق بينهما، وما دام امر نفسه متروكاً له، فإن الأشياء المغايرة كلها خاضعة لأمر قضائه يسيرها على هواه.

قضاء وقدر:

حكم الطبيعة في الأجسام معتبرٌ
فانظر إليها إذا طال الزمانُ بها
إن العذاب لها مثلُ النعيم بها
الله حكّمها فبينا وأحكمها
فيها يعذبنا، فيها يُنعمنا
سبحان من أوسع الأشياء رحمةً
جلّ الاله، فما تحصي عوارفه
لأنها أصلها، والأصل يُعتبر
تبدّد الشمل لا تَبْقَى ولا تَذَرُ^(١)
وذنبها عند أهل الكشف مُغْتَفَرُ^(٢)
فما لها عن نفوذِ حكمه وزرُ^(٣)
وليس يخلص من أحكامها بشرُ
في الخير والشر علماً، هكذا الخبر^(٤)
فالكلُّ منه، كما قد شاءه القدرُ

شوق واتصال:

كلُّ من رام في الوجودِ اتصالاً
قد قطعنا لرؤية الله شوقاً .
بوجودي، قد رامَ أمراً محالاً
واشتياقاً، فيافيّاً، ورمالاً^(٥)

(١) الطبيعة أصل الأجسام كلها، وما انبثق منها يعود لينحل فيها. وهذا هو مبدأ ابن عربي في الطبيعة، وهو أنها لا يعرفها زيادة أو نقصان، وإنما هي باقية في حدود النواميس التي رسمت لها.

(٢) لا تفرق الطبيعة بين الخير والشر، والعذاب والنعيم. وقد مر بنا أنها في نظر الشاعر اعتبارات نسبية. ويضيف: ان العارفين الذين انقشع لهم الحق من أهل التصوف تفهموا كنه الأمور، وبأن لهم ان المتناقضات متساوية ما بينها، مختلفة في المظهر، متحدة في الجوهر.

(٣) الوزر: المعتصم، والجبل المنيع.

(٤) ابن عربي شأن المتصوفة تفاؤلي المذهب، إذ يرى الكائنات مغمورة بالخير الالهي. فالله يعلم الأشياء لأنه خلقها، وبما أنه علمها وخلقها فهو يحبها. ثم يضيف: ان الوجود بأسره صادر عنه، مسير بمشيئته، وهو وحده يعرف الخير المخبوء وراء الشر الظاهر.

(٥) ان الذي يريد الاتصال بذات الحق، ذاتي، فكأنه يطلب المستحيل، وهو يحدثك عن صحارى العطش، والعذاب، والصبر التي اجتازها. نقله إلى محبوبه قافلة الشوق.

ثم إنني لما وصلتُ إليه لم أجد غيرنا فزدتُ نكالا
قلتُ: ربي! فقال: لبيك عبدي، لم أجد غيرَ حيرةٍ لي ضلالا^(١)
كلُّ قلبٍ يبغي الوصولَ إليه مُعَلِّمٌ بالفِراقِ منه تعالى
ثم لما أتاه لم يُلَفِّ إلا عَدَمًا حاصلًا، وقد كان آلا^(٢)
ما رأيناه في سوى الحق عينا وقصاراه أن يكونَ خيالا
بقلوبٍ دنتِ إليه اشتياقًا فكساها مهابةٌ وجمالا
لا، وحقُّ الهوى، ومتَّبِعيه ما رأينا في الهجرِ إلا الوصالا^(٣)
لم ينل كلُّ طالبٍ مستفيدٍ عينَ كونِ الحبيبِ إلا كلالا
كلُّ نقصٍ تراه فهو كمالٌ للذي جاء فيه أن المثالا
يسترُ الشيءَ خلفه، وهو كشفٌ عند من يعرفُ الحلالَ حلالا^(٤)
حكَمَ العِلْمُ أن ما كان رَجَمًا انه كان في الهواءِ اشتعالا^(٥)
وأتى الربُّ للحرارةِ فيها رحمةً للورى، فمدَّ الظلالا

(١) النكال: العذاب؛ لما وصلت إلى الحق الالهي التفت فوجدتني ووجدته. فما زادني ذلك غير حيرة وعذاب وإيغال في مهمة الجهل.

(٢) آل: سراب؛ أن القلب الذي احتوى الصفات الالهية واستعد لتلقي حقيقة الحقائق والوصول إلى الحبيب، ينفطر كلما فارق محبوبه، حتى إذا رجع المتصوف إليه من جديد انعدم فيه، والذي كان يراه غيرًا لم يكن بالواقع إلا سرابًا.

(٣) الهوى: الحب الصوفي؛ متبعية: العارفين من أهل هذا المذهب. أما قوله: ما رأينا في الهجر إلا الوصال، ففيه احتمالان: (١) أن الهجر بحد ذاته باعث على التقرب من الحق؛ (٢) أن الله متفرع في العالم فليس ثمة قرب ولا بعد ولا مكان ولا زمان، فحيثما التفت، وإنى كنت، فانت حيال الحق.

(٤) أن المتصوفة الذين ينقشع لهم الحق يدركون أن النقص بحد ذاته كمال، وأن المثال الاتم كامن خلف ظاهر الموجودات.

(٥) العلم: يريد به المعرفة الصوفية. الرجم: الظن.

انغماس وفناء :

رَأَيْتُ الَّذِي لَا بَدَّ لِي مِنْهُ جَهْرَةً وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا رَأَيْتُ مِنَ الْكُونِ
... وَمَا عَجَبِي مِنْ وَاحِدٍ عَنْهُ وَاحِدٌ كَمَا قِيلَ، لَكِنْ مِنْ وَاحِدٍ عَنْ اثْنَيْنِ^(١)
فَلَوْلَاهُ لَمْ أُوجَدْ، وَلَوْلَايَ لَمْ يَكُنْ وَلَا بَدَّ لِي، فِي كَوْنِ ذَاتِي، مِنْ اثْنَيْنِ
حَقِيقَةً ذَاتِي مِنْ حَقِيقَةِ ذَاتِهِ، وَلَا بَدَّ مِنْ ذَاتِي، فَلَا بَدَّ مِنْ تَيْنِ^(٢)
إِذَا كَانَ عَيْنِي عَيْنَهُ، فَمَنْ الَّذِي تَحَكَّمْ فِيهِ بِالنَّوَى حَاكِمَ الْبَيْنِ؟^(٣)

(١) ان أعجب ما في الأمر أننا اثنان نستحيل واحداً.

(٢) البينان متكاملان؛ فالله أوجد الكون وأسرى في الانسان النفحات الرحمانية ليهتدي بها إلى معرفته. وغاية الله من الخلق ان يُعرف، ولا يعرف الله إلا الانسان، وإذا فغاية الله من خلقه إنما هي صنع الانسان. ولذا قال: فلولاه لم أوجد، ولولاي لم يكن، فمراده فيه ان الانسان يدرك الله دون سائر المخلوقات، وانه دونها طرّاً يتلقى صور الله وصفاته؛ فكلاهما أبدع الآخر.

(٣) النوى: البعد.

رابعة بنت إسماعيل العدوية

صوفيّة كبيرة، وعابدة شهيرة استفتاها في دقائق التصوف كبار المتصوّفة في عصرها. قال سفيان الثوري: مرّوا بنا إلى المؤدّبة، ولا أجد من أستريح إليه إذا فارقتها. وقال ماسينيون عنها وعن رابعة القيسيّة: هاتان الزاهدتان، وكلتاها من أهل المذهب البصريّ، كان تحمّسهما لحياة الزهد مؤدّيّا إلى معالجة أحوال صوفيّة مختلفة، وإلى البحث في فروض دقيقة في العمليات والعقائد. وقال مصطفى عبد الرازق: وعندي من التعسف أن ينسب إلى رابعة العدوية وصاحبها التصدي لمعالجة دقائق المسائل الفقهية والكلامية والصوفية. وقال: السيدة رابعة هي السابقة إلى وضع قواعد الحب والحزن في هيكل التصوف الإسلامي وهي التي تركت في الآثار الباقية نفثات صادقة في التعبير عن محبتها وعن حزنها وأن الذي فاض به بعد ذلك الأدب الصوفي من شعر ونثر في هذين البابين لهو نفحة من نفحات السيدة رابعة العدوية أمام العاشقين والمحزونين في الإسلام. توفّيت سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م. وعندما حضرتها الوفاة قالت لخادمتها: يا عبدة، لا تؤذني بموتي أحداً، وكفّني في جبّي هذه، وهي جبّة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون، فكفّنتها في تلك الجبّة.

وفيما يلي بعض من أقوالها

★ ★ ★

محبّ الله لا يسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه.

اكتُموا حسناتكم كما تكتُمون سيئاتكم.

★ ★ ★

أستغفرُ الله من قلةِ صدقي في قولي: أستغفرُ الله.

★ ★ ★

قالت امرأة لرابعة: إنِّي أحبُّك في الله، فقالت لها: أطيعي من أحببتني له.

★ ★ ★

اللهمَّ قد وهبتُ لك من ظلمي فاستوهبني مِن ظلمته.

★ ★ ★

قال رجل لرابعة: إنِّي أحبُّك في الله، قالت: فلا تعصي الذي أحببتني له.

★ ★ ★

إني جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحثُ جسمي من أرادَ جلوسي
فالجسمُ مني للجلّيسِ مؤانس وحيبُ قلبي في الفؤاد أنيسي

★ ★ ★

أحبُّكَ حَبِّينِ حُبَّ الهَوَى وَحُبًّا لَأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَ
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الهَوَى فَشُغْلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشْفُكَ لِلْحُجُبِ حَتَّى أَرَاكَ
فلا الحَمْدُ في ذا ولا ذاكَ لي ولكنْ لكَ الحَمْدُ في ذا وذاكَ

★ ★ ★

قالت لأبيها: يا أبة، لست أجعلك في حلٍّ من حرام تطعمنيه، فقال لها:
أرأيتِ إن لم أجد إلا حرامًا؟ قالت: نصبر في الدنيا على الجوع خير من أن
نصبر في الآخرة على النار.

★ ★ ★

كانت رابعة إذا جنَّ عليها الليل قامت إلى سطح لها ، ثم نادى : إلهي ، هدأت الأصوات ، وسكنت الحركات ، وخلا كلَّ حبيب بحبيبه ، وقد خلوتُ بك أيها المحبوب ، فاجعلْ خلوتي منك في هذه الليلة عِتْقِي من النار .

★ ★ ★

لقي سفيان الثوريّ رابعة - وكانت زريّة الحال - فقال لها : يا أمّ عمرو ، أرى حالاً رثّة فلو أتيتِ جارك فلاناً ، لغير بعض ما أرى ، فقالت له : يا سفيان ، وما ترى من سوء حالي ؟ أَلَسْتُ على الإسلام ، فهو العزّ الذي لا ذلّ معه ، والغنى الذي لا فقر معه ، والأنس الذي لا وحشة معه ؛ والله لأستحيي أن أسأل الدنيا مَنْ يملكها ، فكيف أسألها من لا يملكها ؟

★ ★ ★

قالت رابعة لسفيان : إنّما أنت أيام معدودة ، فإذا ذهب يوم ، ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكلّ ، وأنت تعلم ، فاعمل .

★ ★ ★

كان أبو سليمان الهاشميّ له بالبصرة كل يوم غلّة ثمانين ألف درهم ، فبعث إلى علماء البصرة يستشيرهم في امرأة يتزوجها ، فأجمعوا على رابعة العدويّة ، فكتب إليها : أمّا بعد ، فإنّ ملكي من غلّة الدنيا في كلّ يوم ثمانون ألف درهم ، وليس يمضي إلّا قليل حتى أتمها مائة ألف إن شاء الله ، وأنا أخطبك نفسك ، وقد بذلت لك من الصّدّاق مائة ألف ، وأنا مصير اليك من بعد أمثالها ، فأجيبني . فكتبت إليه : أمّا بعد ، فإنّ الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن ، والرغبة فيها تورث الهم والحزن ، فإذا أتاك كتابي ، فهنيّء زادك ، وقدم لمعادك ، وكن وصيّ نفسك ، ولا تجعل وصيّتك إلى غيرك ، وصمّ دهرك ، واجعل الموت فطرك ، فما يسرّني أن الله خوّلني أضعاف ما خوّلك ، فيشغلني بك عنه طرفة عين ، والسلام .

★ ★ ★

الحلاج

هو الحسين بن منصور الحلاج (٠٠٠ - ٣٠٩ هـ / ٩٢٢ م) يُعدّ، تارةً، في كبار المتعبدين والزهاد، وتارةً في زمرة الملحدين. أصله من بيضاء من فارس، ونشأ بواسط العراق، وانتقل إلى البصرة. ظهر أمره سنة ٢٢٩ هـ فاتّبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان، ثمّ كان يتنقل في البلدان وينشر طريقته سرّاً. وقالوا: إنّهُ كان يأكل يسيراً، ويصلي كثيراً، ويصوم الدهر، وإنّهُ كان يُظهر مذهب الشيعة للملوك العباسيين، ومذهب الصوفية للعامة، وهو في تضاعيف ذلك يدّعي حلول الإلهية فيه. وكثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسي، فأمر بالقبض عليه، فسجن، وعُذّب، وضُرب، وهو صابر لا يتأوّه، ولا يستغيث. قال ابن خلكان: قطعت أطرافه الأربعة، ثمّ حُزَّ رأسه، وأحرقت جثته، ولمّا صارت رماداً أُلقيت في دجلة، ونصب الرأس على جسر بغداد. وأقوال الباحثين فيه كثيرة. له أكثر من أربعين كتاباً لم يصلنا منها شيء. وفيما يلي بعض أشعاره الصوفية.

الحب ما دام مكتومًا على خطرٍ

وغاية الأمن أن تدنو من الحذرِ

وأطيب الحبّ ما نمّ الحديث بهِ

كالنار لا تأتِ نفعًا وهي من حجرِ

★ ★ ★

من بعد ما حضر السجّان واجتمع
الأعوان واخطط اسمي صاحب الخبر
أرجو لنفسي براءً من محبتكم
نعم! إذا تبرأت من سمعي ومن بصري

★ ★ ★

سقوني وقالوا لا تغني ولو سقوا
جبال حين ما سقيت لغنت
تمنت سليمى أن أموت بحبها
وأسهل شيء عندنا ما تمننت

★ ★ ★

ما زلت أطفو في بحار الهوى
يرفعني الموج وأنحط
فتارة يرفعني مَوْجُهَا
وتارة أهوي وأنحط
حتى إذا صيرني في الهوى
إلى مكان ما له شط
ناديت يا من لم أبح باسمه
ولم أخنه في الهوى قَطُّ

تقيك نفسي السوء من حاكم
ما كان هذا بيننا الشرطُ

★ ★ ★

نديمي غير منسوبٍ
إلى شيء من الحيفِ
سقاني مثلما يشر
بُ، فعلُ الضيفِ بالضيفِ
فلَمَّا دارت الكأسُ

دعا بالنطع والسيفِ
كذا من يشرب الرا
حَ مع التَّينِ في الصيفِ

★ ★ ★

لئن ذقت فيك كؤوس الحمما
م لما قال قلبي لساقيه: لا
وما كنت ممن تشاكى الهوى
ولو قدتني مفصلاً مفصلاً
رضيت - وحققك - كل الرضا
إذا كان يرضيك أن أقتلا

فلا عيب أن مُتَّ موت الكرام
كما مات في الحبّ من قد خلا

★ ★ ★

يا لائمي لا تلمني في هواه فلو
عَايَنْتَ مِنْهُ الَّذِي عَايَنْتَ لَمْ تَلَمْ
ضَحَى الحبيب بنفسي يوم عيدهم
والناس ضَحَوْا بمثل الشاء والغنم
للناس حَجَّ، ولي حجّ إلى سكني
تُهدى الأضاحي، وأهدي مهجتي ودمي
يا من به علقت روعي فقد تلفت
وجدًا فصرت رهينًا تحت أهوائي
أبكي على شجني من فرقتي وطني
طوعًا وسعدني بالنوح أعدائي
أدنو فيبعدني خوفي فيقلقني
شوق تمكّن من مكنون أحشائي
وليس يعلم ما لاقيت من أحدٍ
إلاّ الذي حلّ مني في سويدائي
ذاك العليم بما لاقيت من دنفٍ
وفي مشيئته موتي وإحيائي

قل لي - فديتك - يا سمعي ويا بصري
لم ذي اللّجاجة في بعدي وإقصائي
إن كنت بالغيب عن عيني محتجباً
فالقلب يرعاك في الإبعاد والنائي

★ ★ ★

كفى حزنًا أني أناديك دائماً
كأنني بعيد أو كأنك غائب
وأطلب منك الفضل من غير رغبة
فلم أر قبلي زاهداً وهو راغب

★ ★ ★

الصـب، ربّ، محـب
نـواله منك عـجب
عـذابه فيك عـذب
وبـعدّه عنك قـرب
وأنت عندي كـروحي
بل أنت منها أحب
وأنت للعين عـين
وأنت للقلب قـلب

حبيبي من الحبيب أني
لما تحبب أحب

★ ★ ★

فما لي بعد بعد بعدك يوما
تيقنت أن القرب والبعد واحد
وإني - وإن أهجرت - فالهجر صاحبي
وكيف يصح الهجر والحب واحد

★ ★ ★

وليلة الهجر - إن طالت وإن قصرت -
فمؤنسي أمل فيه وتذكاري
إني لراض بما يرضيك من تلقى
يا قاتلي، ولما تختار أختار

★ ★ ★

وما وجدت لقلبي راحة أبدا
وكيف ذاك وقد هيئت للكدر
لقد ركبت على التفرير وا عجباً
ممن يريد النجا في المسلك الخطر
كأنني بين أمواج تقلبني
مقلباً بين إصعادٍ ومنحدرٍ

ألحزن في مهجتي والنار في كبدي
والدمع يشهد لي فاستشهدوا بصري

★ ★ ★

فأنت في سرّ غيب همّي
أخفى من الوهم في ضميري
تؤنسني في النهار حقًا
وأنت عند الدجى سميري

★ ★ ★

إذا ذكرتك كاد الشوق يقلقني
وغفلتني عنك أحزان وأوجاعُ
وصار كلّي قلوبًا فيك واعية
للسّقم فيها وللآلام إسراعُ

★ ★ ★

مكانك من قلبي هو القلب كلّه
فليس لشيء فيه غيرك موضعُ
وحطتك روعي بين جلدي وأعظمي
فكيف تراني - إن فقدتك - أصنعُ

★ ★ ★

هو اجتبانني وأحيانني وشرّفني
والكل بالكلّ أوصاني وعرفني
لم يبقَ في القلب والاحشاء جارحة
إلاّ وأعرفه فيها ويعرفني

★ ★ ★

مزجت روحك في روحي كما
تُمزجُ الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسّك شيءٌ مسّني
فإذا أنت أنا في كلّ حال

★ ★ ★

يا نسيمَ الرّيحِ قلّبي للرّشا
لم يزدني الوردُ إلاّ عطشا
لي حبيبٌ حُبّه وسط الحشا
إنّ يشأْ يمشي على خدّي مَشَى
روحُه روحي وروحي روحُه
إنّ يشأْ شئتُ وإنّ شئتُ يشأ

★ ★ ★

ما لي بغيرك أنس

إذ كنت خوفني وأمني
فأنت كلّ التمني

★ ★ ★

رقيبان مني شاهدان لحبّه
واثنان مني شاهدان قراني
فما جال في سرّي لغيرك خاطر
ولا قال - إلّا في هواك - لساني
بقلبي وروحي والضمير وخاطري
وترداد أنفاسي وعقد لساني

★ ★ ★

أنتم ملكتم فؤادي
فهمت في كلّ وادي
ردّوا عليّ فـؤادي
فقد عدمت رُقادي
أنا غريب وحيـد
بكم يطول انفرادي

★ ★ ★

ادن منّي ولا تخافن غدري

ليس يخشى الخليلُ غَدَرَ الخليلِ
إنَّ أدنى الذي ينالك مني
سترُ ما يُتقى وبَثُّ الجميلِ

★ ★ ★

والله لو حلف العشاق أنهم
موتى من الحبِّ أو قتلى لما حشوا
قوم إذا هجروا من بعد ما وصلوا
ماتوا وإن عاد وصل بعده بعثوا
ترى المحبين صرعى في ديارهم
كفتية الكهف، لا يدرون كم لبثوا

★ ★ ★

يا موضع الناظر من ناظري
ويا مكان السرِّ من خاطري
تراك ترثي للذي قلبه
معلق في مخبئي طائر

★ ★ ★

أقلب قلبي في سواك فلا أرى
سوى وحشتي منه وأنت به أنسي

★ ★ ★

ملحق

ما كُتِبَ على القبور

تُوفِّي رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةٍ فَكُتِبَ عَلَى قَبْرِهِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ:

يَا وَاَقِفِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا	أَنَّ الْحِمَامَ بِكُمْ عَلَيْنَا قَادِمٌ
لَوْ تَنْزِلُونَ بِشِعْبِنَا لَعَرَفْتُمْ	أَنَّ الْمَفْرَطَ فِي التَّرَوُّدِ نَادِمٌ
لَا تَسْتَغِرُوا بِالْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ	تَبْنُونَ وَالْمَوْتَ الْمَفَرَّقُ هَادِمٌ
سَاوَى الرَّدَى مَا بَيْنَنَا فِي حُفْرَةٍ	حَيْثُ الْمُخَدَّمُ وَاحِدٌ وَالْخَادِمُ

★ ★ ★

وَمِمَّا وُجِدَ عَلَى قَبْرِ:

إِنَّ الْحَبِيبَ مِنَ الْأَحْبَابِ مُحْتَلسٌ	لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَّابٌ وَلَا حَرَسٌ
فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا وَلَذَّتْهَا	يَا مَنْ يُعَدُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَالنَّفْسُ
لَا يَرْحَمُ الْمَوْتُ ذَا جَاهٍ لِعِزَّتِهِ	وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يُقْتَبَسُ
قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرَفٌ	فَقَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسٌ

★ ★ ★

قَالَ ابْنُ الزَّقَّاقِ هَذِهِ الْآيَاتُ وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:

أَخْوَانَنَا وَالْمَوْتُ قَدْ حَالَ دُونَنَا وَلِلْمَوْتِ حُكْمٌ نَافِذٌ فِي الْخَلَائِقِ
سَبَقْتُكُمْ لِلْمَوْتِ وَالْعُمُرُ طَيِّبُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُلَّ لَا بُدَّ لَاحِقِي
بِعَيْشِكُمْ أَوْ بِاضْطِجَاعِي فِي الثَّرَى أَلَمْ نَكُ فِي صَفْوٍ مِنَ الْعَيْشِ رَائِقِ
فَمَنْ مَرَّ بِي فَلْيَمِضْ بِي مُتَرْحِمًا وَلَا يَكُ مَنِيًّا وَفَاءً الْأَصَادِقِ

★ ★ ★

أَمَرَ أَبُو الصَّلْتِ الْإِسْبِيلِيُّ أَنْ تُكْتَبَ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى قَبْرِهِ:

سَكَّتْكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا بِأَنِّي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي صَائِرُ إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا وَزَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ
فَإِنْ أَكُ مَجْزِيًّا بِذَنْبِي فَإِنِّي بِشَرِّ عِقَابِ الْمُذْنِبِينَ جَدِيرُ
وَإِنْ يَكُ عَفْوٌ ثَمَّ عَنِّي وَرَحْمَةٌ فَتَمَّ نَعِيمٌ زَائِدٌ وَسُرُورُ

★ ★ ★

حُفِرَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَهِيَ مِنْ تَصْنِيفِهِ:

تَرَحَّمْ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحْيِهِ فَمِنْ حَقِّ مَيِّتِ الْحَيِّ تَسْلِيمُ حَيِّهِ
وَقُلْ أَمَّنَ الرَّحْمَانُ رَوْعَةً خَائِفِ لِتَفْرِيطِهِ فِي الْوَاجِبَاتِ وَغْيِهِ
وَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَاثِقِ وَحَسْبِي وَإِنْ أَذْنَبْتُ حَسْبُ صَفِيهِ

★ ★ ★

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَقْرِيُّ الْخَيَّاطُ عَلَى لِسَانِ مَيْتٍ:

أَيُّهَا الزَّائِرُونَ بَعْدَ وَقَاتِي جَدُّنَا ضَمَّنِي وَلِخُذَا عَمِيقًا
سَتَرُونَ الَّذِي رَأَيْتُ مِنَ الْمَوْتِ تِ عَيْنَانَا وَتَسْلُكُونَ طَرِيقًا

★ ★ ★

نَظَّمَ أَسْعَدُ مُصْطَفَى اللَّقِيمِي قَبْلَ مَوْتِهِ تَارِيخًا لِقَبْرِهِ:

قَبْرٌ بِهِ مَنْ أَوْثَقَتْهُ ذُنُوبُهُ وَعَدَا لِسُوءِ فِعَالِهِ مُتَخَوِّفًا
قَدْ ضَاعَ مِنْهُ عُمْرُهُ بِبَطَالَةٍ وَالْعَيْشُ مِنْهُ بِالتَّكْدُّرِ مَا صَفَا
مَاذَا طَوَى قَبْرُ اللَّقِيمِي أَرْخُوا مُسْتَمْنَحٌ لِلْعَفْوِ أَسْعَدُ مُصْطَفَى

★ ★ ★

لَمَّا قُتِلَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنٍ الْحِمَيْرِيُّ دُفِنَ فِي صَنْعَاءَ بِمَقْبَرَةٍ وَوُضِعَ فِي
سَرِيرِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ قَدْ كُتِبَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ:

أَنَا ابْنُ ذِي يَزَنٍ مِنْ فَرْعِ ذِي يَمَنٍ مَلَكَتُ مِنْ حَدِّ صَنْعَاءَ إِلَى عَدَنٍ
جَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلٍ فِي الْبَحْرِ أَحْمِلُهُمْ فِيهِ عَلَى السُّفُنِ
حَتَّى غَزَوْتُ بِهِمْ قَوْمًا مُهَاجِرَةً فِي الْبَرِّ جَاسُوا خِلَالَ الْحَيِّ مِنْ يَمَنٍ
بِالْخَسْفِ وَالذُّلِّ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ ذُوقُوا ثِمَارَ ذَوَاتِ الْحِقْدِ وَالْإِحْسَنِ
فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَالْدَّهْرُ ذُو دَوْلٍ حَتَّى كَانَ مَغَارَ الْقَوْمِ لَمْ يَكُنْ
حَتَّى إِذَا ظَفِرَتْ نَفْسِي بِمَا طَلَبْتُ وَزَالَ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ
وَنَلْتُ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ آمِلَهُ مِنْ قَتْلِي الْحَبْشَ حَتَّى طَابَ لِي وَطَنِي

جَاءَ الْقَضَاءُ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ دَفَعَ وَلَا يُشْتَرَى يَا قَوْمُ بِأَلْتَمَنِ
 مِنْ بَعْدِ مَا جُبْتُ أَحْوَالًا مُصَرَّمَةً قَطَرَ أَلْبِلَادِ فَلَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ أَهْنِ
 قَدْ صِرْتُ مُرْتَهَنًا فِي قَاعِ مُظْلِمَةٍ لِلَّهِ دَرِّي مِنْ ثَاوٍ وَمُرْتَهَنٍ

★ ★ ★

كان على قبر يعقوب بن ليث مكتوب هذه الأبيات عملها قبل موته، وأمر أن
 تُكتب على قبره، وهي هذه:

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ الدَّوَارِسِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَجْلِسُوا فِي الْمَجَالِسِ
 وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ شَرِبَةً وَلَمْ يَأْكُلُوا مَا بَيْنَ رَطْبٍ وَيَابِسِ
 فَقَدْ جَاءَنِي الْمَوْتُ الْمَهُولُ بِسَكْرَةٍ فَلَمْ تُنَجِّنِي مِنْهُ أَلُوفُ فَوَارِسِ
 فَيَا زَائِرَ الْقَبْرِ اتَّعِظْ وَاعْتَبِرْ بِنَا وَلَا تَكُ فِي الدُّنْيَا هُدَيْتَ بَآئِسِ

★ ★ ★

فهرس المحتويات

٤٦ الحسن بن الهبل	٥ القسم الأول: في الزهد
٤٨ محمود الوراق	٧ الزهد
٥١ ابن عبد ربّه	٧ تعريفه
٥٤ ابن جبير	٧ عوامله
٥٦ ابن مبارك	٩ الزهد عبر العصور
٥٩ ابن يسير	٩ في الجاهلية
٦١ متفرقات زهدية	١٠ في صدر الإسلام
٦٢ زهد رجل من بني العباس	١١ في العصر الأموي
٦٣ ذو النون والزاهدة	١١ في العصر العباسي
..... زهد النعمان بن امرئ	١٣ عدي بن زيد
٨٢ القيس	١٥ الإمام علي بن أبي طالب
٨٣ زوال الدنيا	١٨ أبو العتاهية
..... الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر	٢٦ الإمام الشافعي
٨٤ الصيني	٣٠ صالح بن عبد القدوس
٨٧ حد الزهد	٣٢ أبو النّوّاس
٨٧ ذلة الدنيا	٣٨ أبو تمام
٩٠ زوال الدنيا	٤٠ البرعي
..... خطبة أبي الدرداء في أهل	٤٣ ابن المقرئ
	٤٥ البهلول

الشام..... ٩٢	- المقامات ١٠٦
القسم الثاني: في التصوّف ٩٥	- الأحوال ١٠٦
التصوف ٩٧	- مبادئ الصوفية ١٠٧
- تعريفه ٩٧	- ابن الفارض ١٠٩
- أصل التسمية ٩٧	- حنين إلى اللقاء ١١٥
- منابع التصوف ٩٨	- خمريته وشرحها للشيخ حسن
- تأثر التصوف بالعوامل	البوريني ١١٦
الإسلامية ٩٨	- الفناء والمشاهدة ١٢٠
- العامل المسيحي ١٠١	- أنا القليل بلا إثم ولا حرج ... ١٢٤
- العامل الهندي ١٠٣	- سائق الأظعان ١٢٧
- عامل الأفلاطونية الحديثة ١٠٤	- ابن عربي ١٣٠
- العامل الإشرافي ١٠٥	- رابعة بنت إسماعيل العدوية ... ١٣٩
- النظام الصوفي ١٠٥	- الحلاج ١٤٢
	ملحق ما كتب على القبور ١٥٣

16
29